زهير أبو سعد

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author Zohir Abu Saad.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الكاتب زهير أبو سعد.

عنوان الكتاب: بيني وبينك فضاء أزرق
اسم المؤلف: زهير أبو سعد
مقدمة: شروق المسالخي

الطبعة الأولى 2019 م

© جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للكاتب زهير أبو سعد

رقم الإيداع : 2019/3817
Literar-Mechana

طُبع في مطبعة Expressprint

رواية

بيني وبينك فضاء أزرق

زهير أبو سعد

مقدمة

الكاتب: زهير أبو سعد

العنوان: بيني وبينك فضاء أزرق

عنوان لونه يريح القلب مساحته متعبة فواصل كثيرة وتساؤلات أكثر ما بين البين والبين الأخرى فيه هاوية لا تعلم إن كنت تحلق أم أنك تهبط من هذا الفضاء إلى سابع أرض، رواية تحمل في طياتها أثقال من الذل أكوام من الظلم نصبت عروشها فوق الضعفاء، تجد فيها كرامة كافية لتوزع على هؤلاء الظلمة الذين لا يعرفون عنها شيء، فعبدة المال هم مجردون من الكرامة، شعارهم النذالة فقط .لقد شق الكاتب زهير بحبره جوف القلب حتى أدخل فيه بصيص من النور وجزء من سعادة مسروقة عبر الورق، لأن زمن الحروب هذا أحرق كل ما هو جميل، جمال الوطن والروح والمشاعر والأفئدة وكل شيء حي، ووفق هذا العويل اندلعت حرب بين قلبين تسللت فتنها عبر موقع أزرق لتجعل كل منهما يشتم رائحة الآخر عن بعد يقاس مساحته نصف كرة أرضية تقريبا، يرسلها الهيام كلما هب ريحه، تعتصر قطراتها من موج بحر هائج لا يابسة فيه ولا مرفئ، فالعشق يسطو علينا جامحا من الصعوبة ترويضه، يأتي ليحي الروح بعدما كانت

رميم، فالحب حرب لا تؤمن بالهدنة أبدآ، كم مر زمن مر على الورق ونحن بشوق إلى الفرح من مدة طويلة ونحن لا نقرأ إلا الجروح ولا نرى إلا البيوت المهدومة ولا نصل إلا للنهايات الكئيبة، كم اشتقنا إلى الابتسامات المنسية على أفواه القراء، كلها دموع تذرف على صراحة الحروف وحقيقة الألم لقد أصبحت ثقافتنا تكتب بالدم وتقرأ بالدموع، لقد طرد الكاتب بكلماته أشباح اليأس وجلب لنا الأمل عبر فضاء واسع مليء بالحب الطاهر النقي الذي جمع طيرين حلقا بقلبيهما بعيدا عن رائحة الدم هاجرا نحو السلام والأمان حيث تقتن قلوب العشاق، رواية سرعان ما تجرحك سرعان ما تداويك وتشعر كأنك ترف من حروفها ترفع نسبة هرمونك (السيروتونين)هرمون السعادة الذي حرمت منه منذ زمن، تعزف في نهايتها أجمل سمفونية حب ما سمعت بها أذن وما راق لها ناي من قبل، تغلق دفتيها وأنت رسيخ الحب وفي قلبك نور أوقدته الكلمات العشقية بداخلك المحزون.

شروق المسالخي

إهداء

هذا العالم ليس على مقاسي..

إنه الورد الذي أردده بعد كل انبلاج نور ورحيل ظلمة..

أطوي وحدتي في زاوية مظلمة لغرفة أفرغت من النور، لأن النور بالنسبة هو عبارة عن كذبة أتقنا حياكتها لإدخال البهجة إلى صدورنا المتسخة بالأفكار المنحدرة من عقل الكبار..

نحن ضحاياهم المرقعة بالسواد، الكبار هم الذين تركوا لنا ذاكرتهم عبر لوح من رخام قد كتب أسمائهم المنحوتة على أعلى سنم للذاكرة..

كلما استيقظت من كابوس ينام معك في كل ليلة، يأخذ مساحة من راحتك، ويحاول أن يقعك من سريرك، ويكشف جسدك النحيل كي تشعر بحرارة المكان، وحتى الوسادة لم تعد وسادتك لأن الكابوس حجمه كبير جدا، ورأسه مضلع ككعب صديقتي السنغالية، إنه هو ذاك الرعب المتشعب بك في كل غمضة عين، يأتي بك إلى أرضه التي ترعرعنا عليها ونبتنا مع نمو أفكارها، ولا زلنا نكذب ونصدق ما نصحنا به الكبار..

بضمة الكاف تكتب..

رغما عن كل اللغات، رغما عن قناعاتنا التي أتينا بها من هنا وهنا، رغما عن قلوبنا المكسورة المشبعة بالفراغ، رغما عن

صدورنا المتصدعة بالانهيارات العصبية، رغما عن كل ما نريد، لأننا هنا يجب أن نكون كما يريدون هم لا العكس..

ستنجر إلى حافة التطرف اللغوي، تريد أن تتبع أثار اللغة بكل أسرارها كي تكتب الصمت المحرم عليك بالبوح به، أن تتكلم يعني أن تأخذ بنفسك إلى التهلكة، الجواب موجود ككماشة تتراءى بين عينيك:

ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة..

تكاد تضحك بكل ما أتي الحزن من حزن، تكاد لا تقوى على الضحك، لأنك ستشعر بأنك منافق جدا، تسعى لإرضاء غيرك وأنت في قمة البؤس، تكاد أن لا تكاد لأن كيد الآخرين متربص بك، تكاد أن تصرخ في جوف بئر لتحدث تحت هذا الكون ضجة تهتز لوجعك المجرة بأكملها كي تنهر عن بكرة أبيها..

أباها الذي نسجها وصممها لنا من تماثيل جاثمة في المعابد، مغروس حول جلالته شموع الكذب كي نصلي له، كي يشفع لنا عند الوهم ما بينا من وهن، أنه أباها هي..

أما أبانا هو ذاك الذي خيلّ إلى أحدهم بأنه المدبر المسير لهذا الملكوت المنتظم، وما علينا إلا لنصدق هذا الخيال، ونعتقد به اعتقادا جازما لأنه أبرم صفقة مصلحة ومصالحة مع الكبار..

هل رأيت هذا المشهد الملوث بالكبرياء، أنها أضحوكة نسجت لنا في أحد الصحارى الكبرى تحت لهيب الشمس وبين كثبان الرمال المتلهبة، ومن أجل أن يحكموا ما بهم من وهن وما بنا من ضعف زرعوا في كهف أرواحنا جهنم وبئس المصير..

شاطر..

تقال لقطاع الطرق، بالضبط أنهم قطعوا علينا طريق العقل والتفكير حتى يتسنى لأهل المصالح كسب ثروتهم بسم الله والأنبياء والصالحين، جررنا إلى حتفنا الأخير، وسحب منا كل ما هو جميل، وبيتنا نمشي في هذه الطرقات الفاسدة كالساعة في معاصم غيرنا، ومن أجل ماذا يا هذا.. !!

من أجل رضى الله..

الحب في هذه البلاد حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في عامكم هذا، في بلدكم هذا، عليكم أن تحذروا من الخدع العاطفية التي توصل أبنائكم إلى المهالك، لقد نسيّ أهل الفضيلة والفخامة والجلالة بانهم أشد نذالة من شيطانهم الذي صوروه لنا وجعلوه فزاعة كي يوثقوا الخناق، هل شاهدت وطن كل من فيه معلق على مشانق الله.. !!

لا يهم لأن لم يعد شيء يهمك، لا أنت ولا غيرك ولا حتى أقرب الناس إليك، تريد أن تتحرر من لعنة الكذب المحاط بك كي تبحث عن نفسك..

ولكن عند كل حافة هاوية ينتظرك صوت الحق هناك، حيث يصدح لك:

فات الميعاد..

تعتقد بأنها أغنية لأم كلثوم، لا تعتقد كثيرا ولا تظن بل أنها حقيقة ستعلمها بعد حين بأنك من المهلكين حتى لوكنت أقرب الأقربين لكل جبار ونبي وأمين..

جيوش مجيشة من الأدمغة منهارة رغم ثبات أجسادها في وطنك، تسير رغما عن ذاتها، لأنها مسيرة والتخيير خدعة لا يمكن للمرء أن يتصورها في زنزانة محاطة بعدسات المراقبة من الأصدقاء والأهل والأقربون والأبعدون ومن الدولة ومن الله، كيف ستنجو من هذا كله وأنت تعتقد اعتقادا جازما بأنك إذا دخلت إلى بيت الخلاء فهناك ولا محالة من سيرى ثقب دبرك.. !!

لا تقلق سيدي، لا عليك آنستي، لو تسترت بأثواب الدنيا والآخرة، لو طرت أو هبطت، لو تقنعت أو تلثمت فأنت مفضوح ومكشوف أمرك، هم هكذا زرعوا فيك كي تخاف..

هل أنت خائف الآن !؟..

سوف تكون شجاعا، سوف تبرز لي عضلاتك وخصال قوتك، سوف تتدرع بكل ما تحمله من سيوف، سوف تحاول أن تنهض من مقبرة هذا المستنقع المرعب، سوف تتجرد من حقيقتك كي تريني كم أنت باسل..

لا عليك صديقي، أنا منذ أن عرفتك، ومنذ أن صافحت يدي يدك، وفي أول ما ارتطمت عيني بعينك، وتعثر قلبي بقلبك عرفت جيدا كم أنت جبان خوان خداع منافق كاذب..

أحمل في صدري ثقة كاملة، ثقة أعتقد بها جيدا، نبتت في عظام جمجمتي وأنا في بطن أمي، وخرجت إلى عالم الظلام مع الحبل السري المنفلت بالدماء، ولا زلت أخدع غيري عندما أعطي الثقة لهم..

في الحقيقة إن هذه الاعتقاد هو جملة بسيطة تنهي محادثتي الكاذبة معك، وإذا تريد أن تنزعج وتزعل، فأقول لك القول المشهور الذي تقوله أمي:

أخبط رأسك في الجدار..

الجملة مفادها : لا أثق بأحد..

هكذا تنتهي مصلحتك معي الآن، دعني أقول لك وداعا، هيا قم من أمامي، أحمل نصائحك ومشاريعك المهمة الكذابة، ولملم شتات معتقداتك وأفكارك التافهة، وأمضي من وجهي لأن الحياة

علمتي أن الجلوس مع البشر ولو لدقيقة هذا يعني أنني ارتكبت حماقة بحق قلبي الذي يأبى الاختلاط بالبشر بعد اليوم..

سوف تحلل نفسيتي وطريقة تفكيري بما يجري في أحشائي وبما يجري حولي، الآن أنت نصبت نفسك طبيبا نفسيا لأنك من أهل المثل المشهور الذي تقوله جدتي بشكل دائم:

سبع صنائع والبخت ضائع..

مسكين عندما أرى هذا الضياع ينتشر في عقول البشر اكثر من الأوكسجين تحت طبقة الأوزن المثقوبة بسبب غبائكم، محللون ومدققون ومساحون أحذية ومنسلخون ومنسجمون وأصحاب آراء ومبادئ وشأن كاذب ومخادع ومنافق، كيف لعقلي أن يتحمل كل هذا الهراء الصادر من حمقى البشر .. !!

لذلك أخترت بوابة الهروب من هذا العالم الذي يدعي المثالية، مثالية قذرة كرائحة جوابي بعد عمالي الشاق في أحد الأبنية، مهنتي عتال أكياس إسمنت في أحد معامل صيدا في لبنان الشقيق.. !!

عفوا لم أسمعك.. !!

أنا من أين ؟

نعم أنا من ريف دمشق من عاصمة الياسمين..

سني ثمان وثلاثون عاما وجراح لم ولن تنتهي أبدا، لأن مستقبلنا أضحى رهينة في يد أخوتنا العرب، فواصل من القذارة تخرج بين الكلمات والمفردات عندما أذكر العرب، لحن صاخب يجعلك تسد أذنيك بفلينة خشبية أو مطاطية عندنا يلقى على مسامعي كلمة عروبة ومشتقاتها..

خلاصة الأمر وحتى لا أطيل عليكم ما ألاقيه عند سماعي للعروبة ومشتقاتها، أي أن مشتقات روث البقر فيها فوائد أكثر من مشتقات العرب والعروبة..

روث البقر، المدفئة الريفية، إبريق الشاي الذي يغلي على الصوبية، جلوس الآباء والأجداد حول تلك الموقدة في فصل الموت القارص، تجتمع ألسنة الكذابين والمنافقين والصادقين والمؤمنين حول نارها الموقدة، وقد تناسوا من يكذبون أن هناك

نارا لله ستلتهم ألسنتهم التي يحلفون بها ويحيكون الأكاذيب الملفقة كي يعجب الناس بهم..

خذ مثالا..

طبعا أغلق أنفك لأن رائحة الكلمات هنا قاتلة حد الغثيان، ربما تصاب بالإغماء أو تنقل لأقرب مركز صحي، هل أنت جاهز لتسمع أو لتقرأ!!

مختار القرية أبو صبحي، الحاج أبو قاسم، رئيس المخفر أبو حازم، الجدي أبو نواف، وغيرهم كثر..

أووووففففف..

الرائحة قذرة جدا أليس كذلك.. !

لا علينا عزيزي، كل ما علينا هو أن نلقي اللوم على غيرنا من غير أية تفسير، التفسير الوحيد هو أن لا نفكر بما اقترفته أيدنا نحن المحللون في شؤون غيرنا، نحن أمة المليون حشري، أصحاب الأنوف الكاذبة العفنة التي تحشو أنفها في دبر كل صغير وكبير..

أحشوا أنوفكم سادة العرب، ولا تنسوا أن تنظروا حولكم وحتى أن تنظروا أسفل منكم وتشاهدوا ذاك الدمار الخصب الذي يتسلل من بين سيقانكم..

أحشوا أنوفكم في كل دبر كل حاوية نفايات وخلصونا من تلصصكم، أريد أن أعرف كم من جاسوس تعلم التجسس والتلصص والتحسس..

نسيت أن أعرفكم على نفسي..

أخذنا الحديث عن أرذل خلق الله وأسفلهم حنكة وتجسسا وتعسفا وخيانة وغدرا وحقدا وكذبا وقذارة وحسدا وهلم جرا من كلمات يطيب لنا المقام من ذكر صفاتهم النجسة..

أنا أسمي : يوسف..

سماني جدي الكاذب الذي أشبعنا كذبا بأنه أحد الشجعان الذي طرد الفرنسيين من سوريا على أسم يوسف العظمة، ولو ألقى يوسف العظمة إلى وجه جدي لقال عنه:

أنت أحد الخونة الذين جعلت الفرنسيين يتغلغلون في ربوع الوطن..

الوطن بواد وجدي بواد ويوسف العظمة بواد آخر..

في أواخر هذا الزمان الصعب أضحى أهل النفاق يسمون أبنائهم بأسماء الأبطال والشجعان والأنبياء والأنقياء ليس تأسيا بهم بل خوفا من موجهة الحقيقة والواقع المر..

ولكن لا يجرئ أحد أن يسمي أبنه الله..

الله خط أحمر كاسم ولو رأيت القوم الخائفون من اسم الله أو أن يسمي أحد أسمه كاسم الله سوف ترى العجب العجاب، أن كلمة الكفر هي ديدنهم وسب الله ممسحة في أفواههم، أناس كذابون ذو نخب عالي الجودة..

خبر هام عليك تعميمه:

إذا كنت تبحث عن منافق، أو خائن، أو كاذب، فهنا حضيرة كبيرة مقسمة على حسب التسلسل الزمني للخيانة، حضيرة مكتوب عليها الوطن العربي، ستجد أنواع عدة ومقاسات عدة من كل الطوائف والعقائد وكلهم منسوبون إلى الله، والله مستو على عرشه ناظر إليهم كيف يقتتلون ويهرقون دمائهم بلا أية رحمة ولا شفقة..

وهناك خبر آخر أنا أأكده لك أيضا:

خذ ما تريد وببلاش..

وفي خبر آخر تداولته الدول العربية الفقيرة من أجل تغطية الميزانية الخاصة لحرامية الحكومات المتنافسة على المناصب والكراسي يقول:

خذ أثنين من العرب ببلاش وخذ الثالث على عيون أمه بالمجان، ولك ضمانهم إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها والله خير الوارثين..

تعجبني حكمة الوراثة الربانية، تعجبني حنكة العطاء الإلهي، تعجبني المقايضة بين الرب والعبد، ذاك الذي في السماء أسلمنا ذلا ما بعده ذل..

لا تلقوا ثيابكم الداخلية في سلة غسيل الغرب، ثيابكم ليست ثياب نجسة وحسب بل ثيابكم يتقاطر منها رذيلة البغاء والدعارة..

رعاة ورعاء وغنم بكل ما تحمله الكلمة من قطعان للأبقار المصابة بالجنون، جنونكم زاد عن حده، وكلما زاد هذا العالم في التمدن والحضارة والرقي زدتم بالجنون والدموية، أحملوا غسيلكم المتسخ وأغطيتكم المدبوغة بالبغاء، نسلكم لم يعد يصلح للتفاخر، نسلكم مسلوب منهوب مغتصب، سيوفكم مبتورة ومقصوصة لا تقوى على أن تقوى ولكن أصبنا بالصرع وأنتم تنسبون أنفسكم لأهل التقوى..

أعود إلى يوسف..

نعم أنا يوسف من ريف دمشق، من عائلة كل من بها قد تخرج من الجامعة، وحتى يا سيدي أكمل الدراسات العليا في تخصصه..

عفوا لم أسمعك.. !!

أنا ماذا أنهيت !؟..

ها ها ها، أنا الآن يجب أن أكون أستاذا محاضرا في جامعة دمشق أوأية جامعة في هذا العالم الذي لا يعترف بك سوى قملة تسرح وتمرح الرأس..

اليوم أنا أعمل عتال، أحمل هم أبي وأمي كي أأمن لهم لقمة الحلال، جميع الأخوة تزوجوا وكل شخص منهم مشتت في أصقاع الأرض عنده أفواه يريد أن يسد رمقها، أفواه متعطشة لأية لقمة حراما كانت أو حلالا، المهم أن تسد هذه الأمعاء المتعاركة على البقاء على قيد الحياة..

وأنا..

أنا هنا أندب حظي، أنتظر نهاية الشهر كي أخذ أجرتي من مدير هذا المعمل، أقسم راتبي نصفين..

نصفين..

نصف لضميري ونصف لأكمل مسيري في درب الحياة، عفوا نصف لأبي وأمي ونصف لأجرة الغرفة ولقمة الخبز المجبولة بالسم، يا سيدي أنا أشكر الله أنا من عرق جبيني..

لم أتوقع أن يكون جبيني يتقاطر منه عرقا وعتل للحمولات الزائدة في الوزن، لم أعد أسأل عن الحمولات العلمية في دماغي، دماغي مفرغ من الهدوء، محشو بالضجيج وقلة الحيلة، على رفوف هذه الذاكرة تصطف الهموم خلف إمامها الجائر تصلي على مستقبلي صلاة الغائب بسبع تكبيرات بلا وضوء ولا ركوع ولا سجود، وأنا الممدد في كل مساء على تعبي أجني سهر الليلي كي ألقن جيلا متعطشا للعلم..

صمت على حلم وأفطرت على وهم، هكذا ومن غير أية مقدمات أنا هنا أقتات على الوقت الضائع والحلم المنهار على عاتقي، إنه المكان بل المساحة الثلجية في كوكب يتلظى نارا موقدة، إنها الغرفة التي أدفع أجرتها ربع راتبي الشهري كي أنجو من لعنة الشتات والضياع على رقعة من وطن يتغنى عليه أهله بلاد العربي أوطان..

لعل الأوطان أنكرت أهلها وجلبت لها لعنة الفقر ورفاهية الضياع، لعلي أنا من تاهت بأنفاسي المسافات وقذفت بي حيث الضياع،

الضياع المبعثر الذي أحاول ترتيبه على فراشي ووسادة تعلم ما بي من ثقل هموم وأهول، ولكن يسعفني هاتفي المحمول الذي اشتريته بما تبقى من ثمن حلق الذهب الذي أعطتني إياه أمي..

أبكي وتدلهم علي خياشيم أنفاسي ذكرى أمي..

أبكي لأنني جائع وعطش للقمة الخبز التي كانت تجهزها تلك الرحوم في كل برهة فجر، أبكي وتقتحم أشجاني سحابة ابتسامة خافتة تنضج على جمر الفراق، نمى الفراق على مفارق رأسي كما يتغلغل الشيب بين سواد الشعر، ولا زلت أخبأ تلك الدمعة خلف كمّ الحياة..

شكرا أيتها الحياة..

جهازي النقال، الجوال كما يقال عنه، أحمله بيد مرتجفة، يد لم تحمل في كنفها سوى ما كنت أخشاه من الله، لعل الله يعوضني ما أريد، ما أريده الآن أن أريح جسر ظهري على فراشي ووسادتي..

لا نور هنا لكيفني سوى دعوة أبوين ألقيا إليّ ودائع الله كي يحفظني من ملمات الضياع، أسند ما تبقى من شهيق على تلك الفرشة القاسية، وأفتح جوالي المحمول عابرا القارات عبر بوابة الإنترنت حيث العالم الآخر الذي يطلقون عليه العالم الافتراضي..

إن واقعكم لا يناسبني سادتي، أريد عالما من ورق أزرق، أسير به وحدي حيث لا أحد يزعجني أو يزعزع مسيرتي، أريد أن

أغفو على سطور إلكترونية توجهها أشعاعات وهمية، تلمز وتهمز وترسم على ما لم استطع رسمه..

عبر قبضة إلكترونية تحرك بأصابعي المتشققة أحرك هذا الكون بفواصل صغيرة، وأزرار مصطفة هنا وهناك أكتب وجعي وأجمع شتات ألمي، أشاهد ما كنت أحلم برؤياه عابرا جلّ المواقع والصفحات الإلكترونية، قررت أن أفتح صفحة فيسبوك..

لم أرغب بالفيسبوك من قبل ولكن الفضول جردني من الصمت وجعلني متهيجا لمعرفة المزيد من مداخل ومخارج لهذه الصفحة الزرقاء..

بحاجة إلى لحساب إلكتروني بحاجة إلى رمز سري بحاجة إلى صورة شخصية وصورة للغلاف، بحاجة إلى بعض المعلومات وبحاجة إلى إنصاف قبل أن أعدل في أخذ ما أريد..

أتساءل دائما.. !!

ماذا يفعل الناس هنا طوال الوقت!!

يقطعون الوقت طولا وعرضا في إهداره، ولكن من أجل ماذا!، من أجل البحث عن وجودهم، نقص يجتاح القلوب والعقول، نقص في كل عواطف القلب، يحاصر الكون بأسره عبر هذه الشاشة المتحركة التي تأخذك وتأتي بك إلى كوكب الوجود..

الحساب على أهبة الاستعداد، الحساب ينتعش بالمعلومات المهمة وصورتي التي التقطوها لي عند تخرجي، أبد هنا أنيقا جدا، ولكن حقيقتي وواقعي تعيسا جدا، أريد ترميم ما تبقى من حطام قلبي كي أعود فتا يافعا يدافع عن مبادئه السالفة..

الحياة في أغلب الأحيان تضع لك نقطة في نهاية حلم ما، تريد منك أن تبدأ بحلم جديد، تريد منك أن تنفرد بمشروع غير هذا المشروع الذي بدأت به..

ماذا تريد من هذا العالم المتراقص على مشاعر الغير، مشاهد تراها حقيقة الآن، مشاعر تجعل منك بركانا من مقاطع الفيديو والصور المتتالية، هل كل هذا الدمار عبارة عن حقيقة أم أن هذا خيال !؟..

كلوحة فسيفساء ترى العالم عن قرب..

الوقت هنا رهينة بل في قبضة هذا الموقع الضخم، أطرق الصفحات الكبرى والصغرى بأصبع مهترئ، أنادي هل هنا ذاتي!؟

لا سيدي أنت لست هنا، هنا كوكب النيام والشجار والتعارك والسب والشتم وقلب الأوازن فوق أهلها، هنا تكشف الآراء وتظهر المبادئ وترى الكوارث الأخلاقية، هنا يجب أن تتخلى

وتتخيل وتقتبس وتستبق وتجدف وتسابق وتبطأ وتجري، عليك أن تكون مرنا تماما من أجل أن تتعايش..

لا أحد يريدك هنا، هذا الكوكب ككوكبك تماما، النشر والتشهير وفرد الثياب وغير ذلك من أمور هي أكبر منك كونا وسنا..

يجتمع النهيق والنقيق والتصفيق والنفاق والزعاق والنعاق هنا، هنا عليك أن تتخلى عن كل أحلامك كي تبني حلما افتراضي وتهرول وحدك نحو الضياع، هنا الصور المغرية والمبادئ الملمعة والأحاديث المنمقة والكلمات المسترسلة، تسير خلفها جارية العينين نحو السراب والضباب تبحث عن شيء يشبهها..

بين كل صفحة زرقاء وصفحة أخرى، يطرق عليك قلبك بأقفاله سائلا : هل وجدت نفسك أم لا !؟

كنت مشبعا بحبك للشاي، الإبريق يغلي على النار ولعابك يكاد يسقط من فمك، يسل وتسحبه نحوك كي لا يتدلى على قميصك القطني النومي..

أين كأسك المعتق المسكوب فيه ما تبقى من شاي، أنت الآن ذاك الرذاذ المتبقي لكي تلقى في حوضي غسيل الكؤوس والأطباق، وجودي أنت بحطام أحلامك التي ملت منك ومن انتظارك، كل الأهداف التي انتظرتها وسعيت إليها فقدت الصواب وسقطت قصدا في مكانك المظلم، ستنجد دائما بقشة كي تأخذ بك إلى النجاة،

والنجاة مجرد كذبة أوقدوا في ذهنك بأنها هي الحل الوحي كي تبقى على قيد الحياة، ونسوا يخبرك :

مفارق حتى وإن طال بك الأمد..

يطرق منبه الهاتف أصواته المزعجة قبل طلوع الضوء، إنها نهايات العتمة في مواطن الأرز الشاهقة بالفتن والويلات والمصائب، لم يبقى من فيروز هنا سوى صوتها كي توقظ الصباح وتحيي النسيم والندى، ليس هناك نسخة أخرى لصوتها من أجل أن تسلم من لعنة الليل وسباته الخشن المتسلسل في طياته ما فات من الندم..

لا وقت هنا لتندم لأنك أحد صفقات الليل والنهار، إنه الروتين المكرر في كل يوم هو أن تقف على ما تبقى منك لتبحث عن الجزء المفقود منك من أجل أن تقول للحياة بأنك لا زلت قويا وأنت تعرف نفسك بأنك مخادع، وأنت مستمر في مسلسل الخداع ظانا من نفسك بأنك سوف تسحق الأخضر واليابس، شيء صغير وأصغر مما تتصور قادر على أن يسحقك ويجعل منك هباء منثورا..

أنت قادر..

هكذا يخيل إليك كل يوم..

في الأحشاء بقايا ضوضاء تصدر من شقوق التعب تقول لك:

أنت لم تعد قادرا على شيء..

ومستمر في هذه المعركة بالرغم أنك كرهت كل شيء، الحياة وما بعد الحياة وما قبل الحياة، وحتى كرهت نفسك، وحدها كرامتك تمنعك عن كثير من الأشياء، مثلا أن تمدّ يدك للغرباء وتطلب العون منهم، وجدت بأن تحمل الطوب على كتفك أرحم من أن تمدّن يدك للغرباء لتسألهم وتجد الجواب منعوك أو هللوا فيك..

لا تحب الحسنة، وتحب أن تكون محسنا، فلم تجد أحق بالإحسان في هذه الدنيا من والديك، ولكن لا تنسى أن الله يحب المحسنين، وأنت أيضا في قلبك قبيلة من أهل الكرم ولكن الحياة جردتك لتكون معينا لأبوين ألقى بهما السنين..

هيا قم على قدميك وأرتدي ثياب الذل التي ترى بها كرامة لك ولقلبك المعطوب، ألقي شالك على كتفك وأحمل وجع ظهرك إلى معامل الطوب، اليوم كل من في هذا المكان ينهرك ويصدر أوامره عليك لأن الجميع يرى فيك ذاك الصوص الضعيف..

سوف تعترف بأنك أجبن إنسان يوما من الأيام، ولكنك أيضا أعطاك الله سلطانا في الجمال المكلل، كانت الإناث منذ أن نبت في وجهك شعر لا يوقفون نظرتهم المتزاحمة عليك، سهام معجبة تحاول أن تغرس في قلبك كي تقع أحد ضحيا الحب الكاذب..

ولكن أبدا ليس من هنا السبيل..

مصان في بيت كان لا يطوى به كتاب الله أبدا، ومصان قلبك بالتربية الريفية الحسنة التي تأبى أن تتلوث بمكدرات الدنيا وشظاياها..

عيونك التي أنزل الله حول أجفانها كحول تكاد تسرق القلوب، وبؤبؤ العينان المكسوان بالخضرة يكادان يوقفان جيشان من الالتحام، وأنت بجسمك الممشوق المقشر كحبة لوز تكاد تنزل المسيح من الصليب كي تكون أحد أتباعه..

ولكن تتبعت قلبك وروحك المصون وجلبت لها العصمة من كيد العيون المشمرة نحوك، وها هي الحياة تقول لك تقدم نحوها، توقفك على أصعب مراحل حياتك..

تفتح الباب تهم بالمغادرة، تترك تلك الحجرة الصغيرة التي استأجرتها للفراغ، غرفة لا يعيش بها وحش فكيف بالإنسان.. !!

لأنك من سوريا فقط، الآن حان القصاص عليك وعلى مستقبلك من قبل بعض قطاع الطرق والحاقدين من لبنان الشقيق، وسوف تشق شقين تحت أية مسمى فقط لأنك لاجئ..

ومن المعلوم بأن لجوئك هنا مجرد كرة يقذفها القاصي والداني من أجل أن تكون عرضة للنهب والنصب، أنت الآن الطعم المقدس لآلاف من الجمعيات والحكومات الهرمة التي تعاني من

التقشف والجوع، سوف تعرف لاحقا بأنك كنت ولا زلت مجرد رقم حسابي لأحد المجموعات في بلاد المليون مافيا..

هنيئا لك بهذه الإنسانية الكاذبة .. وستعرف بأن الشيخ والخوري والعابد الذي كان يدعو مواشي المؤمنين أن تبرعوا للاجئين مجرد نصابين ومحتالين مقنعين تحت أسم الله وأنبياء الله..

والله يراقب خير أمة أخرجت للناس كيف تفعل بنفسها وبغيرها من أخوة في الدين والنسب وقربة في العرق والدم..

ستعرف بأنك مخدوع إلى أخمص قدميك بهذه الوجوه التي قبحها الله فوق قبحها عندما تعلم من فمّ أحد الجارات وهي تروي لجارتها الأخرى عبر زلة لسان في محل بيع الخضراوات بأن تلك الغرفة التي تعيش بها كانت قبل أن تشتعل الحرب بسوريا كانت مكبا للنفايات لأهل المبنى، وعندما سمع صاحب المبنى بأن هناك موجة من اللجوء أتت من سوريا طريد صاحب المبنى المستأجرين، وقسم الشقق كي تتسع للكثير من العوائل، ومكب النفايات جعل منها غرفة وصنع منها مطبخا وحماما كي يكسب مزيدا من المال..

ولأنك في الوطن الذي يرتل به آناء الليل وأطراف النهار الآية التي ثقبوا آذاننا عليها وجعلوا منها دستورا وكماشة للتهدئة والتروي ألا وهي:

إنما المؤمنون أخوة..

فسترى الكثير، وستقول حقا.. !!

نعم وألف حقا، ستعرف بأن الشقق التي شقت ست شقق من بعد ما كانت ثلاث شقق بأن إجارها أرتفع كثيرا وحتى وصل أجار الشقة ثلاث مئة وخمسين دولارا، سوف تجنّ أكثر وأكثر عندما تعرف بأن إجار الشقة كان خمسة وسبعين دولارا..

وستكتشف بعد ذلك بأن الأمة العربية الاشتراكية عبارة عن واحة وحل كبيرة جدا، وأنت أحد ضحاياها، حتى تشك في المسميات والمناديات التي نطلق عليها بأسماء ربما ظلمناها..

خذ مثلا..

سلة المهملات، المكبات، الحاويات الضخمة، سيارات النفايات، كل هذه الأسماء التي بها صفات القذارة وهي في الحقيقة فيها صفات النظافة والكمال يجب أن يطلق عليها أسم واحد فقط..

ألا وهو: عرب..

جرب ذلك وأفعل لهذه الأسماء اسم واحد سوف تعرف بأنك محق إلى درجة لا تتصورها أبدا، وبأنك أعطيت أسما مناسبا لهذه الأسماء المتعددة..

لم تقف تلك اللعنة على لبنان الشقيق الذي شقنا وشق كرامتنا شقين وحسب، بل هناك بلدان عربية شقيقة جعلت مننا أناس بلا كرامة تماما..

بلا كرامة..

ستضحك عندما تعلم بأن هذا النوع من العوز الذي يريده الإنسان عبارة عن شيء محسوس وليس ملموس بتاتا، فأهل السلطة يهتمون بصلب الشيء لا بجوهره، حتى جردوا الناس من كرامتهم وأصبحوا مرضى نفسيين يحثون عن شيء مفقود..

هم يعرفون ماذا يفقدون، يهم يعرفون إلى أين يقصدون، ولكن لا يعرفون ما أسم المادة المفقودة، لم يجيدوا التعبير عنها، لأنهم لم يعتادوا على تلفظها، أنفاس وأفواه وعيون فوق الأرض وتحتها مغلقة بأحذية عسكرية متوارثة من كلب إلى كلب، خشيت الناس التحدث عن الكرامة لأن أي لفظ من أحرف الكرامة تجر صاحبها إلى الهاوية، هل تعتقد أن الناس جائعة هنا.. !!

لا يا سيدي، الناس لا تبحث عن الخبز، ولا تبحث عن سارق الخبز، وإنما تعرفه جيدا، يمجد ويحمد ويقدس ليلا نهارا وعلى عينك يا تاجر، إن هذه القلوب المسلوب منها برهة أمان المحشو في باطنها الرعب والخوف تسعى كل يوم لتسعى، ولكن الزمن متوقف تماما عندهم، وعقارب الساعة والأجراس والكناس وأهل الله وأهل إبليس كلهم مصطفين للصلاة خلف جلالته، يدعون له أن يرفع الله شأنه ويزيح الله عنه وزره ويجعله من أهل النعيم، وهل يريد نعم أكثر من هذا النعيم.. !!

نعم يريد أن يكون هو فقط، يسير الكون بأطراف أصابعه ويجرد الناس من كرامتهم، فالناس هنا مخدرون بالعبودية، مغلغل بهم سم الذل، فل حدثتهم عن الحرية أوعن الكرامة سوف يقولون لك: أجأتنا كي تبدل ديننا.. !!

ستتعجب وتصدم من هذه القوقعة المستديرة التي تدور حول نفسها وحول غبائها، التغير هنا ممنوع، الأيقونات الخالدة التي تراها في زوايا الوطن تسمى تراث، والأقوال الخالدة تسمى تجارب الكبار، والذي ليس له كبير ليس له تدبير، وبيوت الله وما انحدر منها من أمكنة وأضرحة تسمى مقدسات لا يمكن مساساها، وهذه الوجوه المختلفة بالشكل المشتركة بالعبودية يدعون بعدة نعوت كالعلماء والباحين والمثقفين وهلم جرا من كذب على الذات البشرية..

هذه هي النتيجة من دكتور في الجامعة إلى عامل بسيط يحمل الطوب على كتفيه كي يكون له يد في إعمار البلد، والأغبى من هذا الشيء أن صاحب هذا المعمل لا يملك شهادة مدرسية، مجرم في الغباء المقنع وما عليّ إلا أن أهز برأسي كي أخذ منه الرضى وأقول له:

أمرك سيدي..

لقد أصبح سيدي الآن، كان أباه تاجرا للمخدرات في أحد الأزمنة، وكان هو أحد ضحايا هذه الجريمة، وقد عمل في مجال تجارة

المخدرات عدة سنوات، ويقول بأنه ترك تلك المهنة القذرة، ولكنني أشك في هذا الأمر، لأنه يأتي إلى المعمل في نهاية الدوام، ويبدأ يصرخ بالمدير العام ويهين العمال ويسمعهم المهانة من لسانه القذر..

عيون منتفخة، وخدود متورمة، ولعاب مخزن تحت اللسان يكاد أن يتصبب من شفتيه، وحمرة على جلده تطفو وتطفو، وسواد قاتم تحت عينيه، ولولا الحرام كنت كتبت على جبينه:

هذا مجرم احذروه..

ولكن يقول مدير هذا المعمل بأن قلبه طيب.. !!

ماذا !، لم أفهم، لم أشاهد في معاملته ولا واحد بالمئة من ملامح الطيبة أو مشتقات الطيبة، دفعني ذات مساء من بعد أن شق ظهري بحمل احد الطلبات على عربة قدمت من عالم الغيب، وجعلني أتدحرج أرضا وللأسف لم يلتفت إليّ ولم يرى ما الذي جرى معي أبدا، تدافع العمال إليّ لكي يساعدوني على النهوض، وقفت على قدمي وابتلعت ريقي وبين فكيي والحنجرة كانت هناك غصة معلقة، تركتها لله كي لا أطرد من هذا العمل الذي يجمع أهل الذل في إيوان واحد..

تحت سوط البرد الذي يجلد من يركضون خلف لقمة الخبز، أعود كل يوم إلى البيت في الساعة الثامنة والنصف تماما، أشعر بأن

أصابعي تكاد تخلع من قدمي، والبرد يتخلل من كل منافذ الجسم ولا مقدة ولا حط ولا شيء هنا سوى الضباب والسحاب والأمطار والبرد القارص الذي يزحف مع جنوده التي لا ترحم إلى هذه الزاوية من هذا العالم..

فأنا هنا من هذه الزاوية أرتجف من أعلى عروبتي إلى اخمص ديني، تسعفني الذاكرة عندما تأتي أمي من بعيد ومعها طبقا من كؤوس الشاي والكعك البلدي، وأصوات أخوتي حول المدفئة، والوالد يقلب الفضائيات الأخبار لعله يجد في هذه الأمة خبر كرامة كي ينجيه من اللعنة التي حدثت معه في حرب تشرين التحريرية.. المسكين، الرجل المكسو بالشيب، تشعر بأنه يخبأ جناية من تلك السنين الغابرة، تشعر بأن خلف صمته ألف حكاية وحكاية، تشعر بأنه خائن للوطن وللقضية.. !!

لا دليل هناك، الرجل مطبق على شفتيه منذ أن تزوج أمي، هو هكذا تعلم من الدولة أن يستمع ولا يتكلم، لأن الكلام هنا جريمة ربما يلقى بها حتفه الأخير..

إنها الذاكرة بلعنتها وبركتها وحسنتها وخطاياها..

هكذا تأتي وقت المصائب والجليد والبريد القارص، من أين لي بإعادة ذاك السيناريو!، هنا الركن الوحيد كي تنجو من هذه المصائب هوركن الصبر..

الكلمة التي أتتنا كي نشفى من الألم..

يعني تألم وأصمت، الصمت هو أحد أبرز جيوش الصبر، أن تتحمل كل هذه الكوارث ولا تسمع بها أحد، يعني بالمختصر أعرنا صوتك.. !!

حاضر يا زمن الرعب، سمعا وطاعة.. !

أبحث عن مفاتح الحضيرة التي استأجرتها في جيب بنطالي المهترئ، هناك كومة من الحصى والرمل تجول في جيبي، عليّ أن أقاوم كي أكف عن البحث، وجدته مفتاح لأحد أقفال صناديق الدجاج التي تذبح يومية من أجل بطون البشر، أنا أحد الدجاجات المسمنة للذبح..

ولك قلب كي تمزح أيضا..

لا ولكن لدي أنف يشتم هذه الجرائم التي تنحدر من منازل اللاجئين، أصوات أطفال، وأبو أحمد يضرب زوجته ككل مساء، وأبو مناف يجلس على باب البناية ينفث للهواء دخان سيجارته إن زوجته وأولاده الصغار مصابون بالربو والمسكين لا يملك ثمن دواء الربو لأولاده، وأم سعيد قادمة من معمل الأحذية الذي يبعد عن المبنى ثلاث ساعات ذهاب وثلاث ساعات إياب، كل يوم تقطع هذه المسافة من أجل أن تستر على نفسها وعلى زوجها المصاب بفشل كلوي، إنه يعاني وهي تقاوم والزمن مجرم وله

مخالب يمزق ويسلخ ويمارس هواية الإذلال للبشر، وأم فتحي مشغولة بالطبخ من بعد أن أتت من مزارع البطاطا في أحد جبال تلك المدينة ..

وأنا هنا في هذه المزرعة الكبيرة..

مزرعة الوحوش البشرية التي تكتظ بالسكان من بني الأشباح التي بحاجة إلى تصحيح في المسار، كل يوم أريد أن أهرب من هذا الوحل المستفحل على كوكب علي بابا وأربعين حرامي، الجميع هنا حرامي وأنا المنهوب مني كل ما هو لذيذ كالأمان والحرية والكرامة، أريد أن أنجو من الرحيل المبكر أريد رحيلا متوازن كمسير هذه المجرة حول نفسها وحول غيرها، أريد تذكرة تأخذني إلى مساحة من الأرض يعامل بها الإنسان كإنسان، ولكن تنسى كأنك لم تكن كما قال سيدي قديس الكلمات محمود درويش..

ماذا يوجد في الكيس هنا !؟

بقايا خبز يابس من قبل ثلاث أيام، وثلاث بيضات بحاجة لسلق، وعلبة شاي تكاد أن تفرغ، والسكر آه من السكر لم يتبقى شيء في كيس السكر حتى ولا غباره.. !!

أمري لله، سوف أسلق البيض وأصنع كأسا من الشاي ولكن من غير سكر، لم يبقى معي ولا ليرة لبنانية في جيبي، وغدا سوف آخذ المرتب الذي سوف يقسم قسمين قسم للدين الذي في عنقي مدى الحياة، وقسم لهذه الحياة التي عجزت إلى هذه اللحظة على فهمها..

لا شيء هنا يجعلك تشعر بالأمل سوى الكلمات التي تلفظ على هيئة أمل، يدعوك الفراغ كي تلتهم وجبتك المسائية على أرض مغبرة بالأتربة، يدعوك الغياب أن تحاكي الضباب والبرد القارص المفترش في السراب، يحملك الشوق على طبق من قش يابس إلى حيث اللا شيء، ويستنزفك الرحيل مع كل مغادر إلى الفناء، أنت والفناء في مقياس الدوران حول الذات العاجزة عن إيجاد أية حل لهذه الورطة اليومية التي تسمى روتين..

حسنا هل شبعت.. !!

أعرف بأنك لا تعرف ما هو مذاق هذا الطعام لأنك أدمنته، هذه السنة الثانية وأنت تأكل البيض المسلوق والخبز اليابس كي توفر ما تبقى من مال لأبويك، ماذا عساي أن أقول لك إلا ذاك الدعاء المشهور:

جزاك الله ألف خير يا فتى..

وجزاء الإحسان إلا الإحسان، هكذا علمونا، أنا أعرف هذا العطاء جيدا، أنا أشعر به جيدا، أنا أعرف ما معنى أن تكون بارا بأبويك، لا أحد يحدثني عن البر أبدا أنا عشته بكل تفاصيله، وأعرف الجزاء المستقبلي لكل بار بأبويه، من ذاق مرارة البري شاهد حلاوة الأجر والرضى آنفا..

متى آنفا !؟..

لا تسأل عن المكان والزمان، ولا عن الكيف والوصف، ولا تنتظر تلك الساعة كي تجني ثمرة ما فعلت، ولكن ستأتي تلك اللحظة التي تعيش بها عزيزا كريما ملكا جميلا لا محالة..

أنا وبعيدا عن هذا العمل الدرامي كنت أجلس معها طوال اليوم ولا أتأفف ولا أتلوى ولا أصدر في الصوت ضجة ولا عجة، ذهبت وذهب قلبي معها ولم أنتظر الرد، ولكن الأقدار أسعفتني بالبهجة وجعلت من قلمي لهجة تحاكي عصاة القلوب والمقفلة قلوبهم بالسواد والعقوق، وكم من كتاب قرأ لهم وأتوني إلى حساباتي الفيسبوكية:

شكرا أستاذ لقد جددت علاقتي مع أبوي..

لقد ظن أهل اللغة بأن اللغة وجددت من أجل أن يتعب عليها وتصحح فيها القواعد، أغبياء طبعا، إن اللغة وجدت من أجل إيصال فكرة وتصحيح المفاهيم وتصليح خطأ في أرتكب في حق الإنسانية..

وبينما الطرف الأخر مشغول في تلوين ألسنتهم وتزين كلماتهم من أجل أن يقال عنهم أنهم شعراء وكتاب وبارعون ضاعت كثيرا من المصلحة لوجود اللغة..

ها أنا أحصد من كارثة ما رأيت من كتاب في العاصمة النمساوية فيننا أربع سنوات من الدهشة، حمير تتصارع على معلف الوجود،

ومع أن الحضيرة تكفي للجميع إلا أن الطمع قتل البعض وأقتنع بأن هذا المعلف الغارق بالشعير وجد من أجله هو، هذا حال مقفين العرب في الغرب، أريد أسأل سؤال مع أنني لم أعاصر مثقفين الشرق:

كيف حال مثقفينا في الشرق.. !!

نحن ولله الحمد لا زالوا كما تركتموهم، تخمة في الأحشاء، وكبير يا فاحش، وتجبر على الخلق، وطبقات ومقامات وحركات ولا في أفلام الأكشن..

طز..

طبعا هذا عنوان جريء سوف أكتبه قريبا لأحد أعمالي، وأعمال بطلنا في هذه الراوية هو الروتين القاتل الذي يظهر تعاطف الكذبة العربية بين الأخوة الأشقاء على وطن المليار منافق وكافر..

الكفر هنا لا يحتاج إلى لفظ كي يظهر على صاحبه علامات الكفر، الكفر هنا تجده في المعاملة بين يوسف وأخوته، هنا الكل يدعي بأنه هو يوسف حتى لوكان أكبر الجزارين الذي يجزون أعناق أخوانهم بأسماء عدة كالدين والقومية والوطنية، طبعا أنت تعيش في دوامة من الكذب والكذابين وتختلط بيهم مرغما عن أنف أبيك فقط من أجل أن تبقى على قيد الحياة، ربما تتحول في لحظة من

اللحظات إلى واحد منهم، سوف تشبههم نوعا ما كي تتخلص من ألسنتهم إلى هرعت إلى خلوتك خوفا من أن يسلوا ألسنتهم عليك..
طبعا هذه المشاهد اليومية التي سوف تراها وتراك وتسير معك إلى كل مشهد، أنت أحد مشاهدها المرقعة بالوهم والخوف والخنوع من واقع غارق بالفساد والكفر..
ستعرف من هو الكافر عندما تشمر الأفواه وترى معاملة البشر من حولك، ستعرف بأن الذي يتلفظ بكلمة الكفر هو المؤمن حق الإيمان وبأن الذي يدافع عن الذات العلية هو أشد كفر من بعد أن تتعرف عليه عن قرب..
ستعرف حق اليقين بأن الذي يتعاطى المخدرات والخمور والمحظورات ويلجأ إلى العزلة وأصحاب الأمزجة المتقلبة هم أشد الناس طهرا وعفة..
فليس كل من لبس لباس التقوى أضحى من أهل التقوى، وليس كل من تحدث بسم الله أضحى من أهل الله، وليس كل من ركع وسجد وصلبّ وقلب أوراق الله أسند لله ولأنبياء الله..
لن نخدع مرة أخرى أبدا..
كشف كل شيء ومع المخالطة المكثفة لهذه العينات التي تتلوى وتتخبط كي يرى الناس ما بهم من إيمان لم يعد يهمني صلاح الآخرين أو فسادهم ما بينهم وبين الخالق، إيمان لا يصلح قلب

ولا عمل إيمان كافر، وعمل صالح من أهل المعاصي هو ذاك الإيمان الذي لا يعول عليه..

كفاكم رميا بالكفر والإيمان..

لم نعد نصدق أكاذيبكم يا قوم، هونوا على أنفسكم لقد أتعبتم مناظركم وأجهدتم عقولكم بالقال والقيل، لم تعد تنفعكم تلك العمائم والطيلاسانات، لم نعد نثق بكم أبدا، فميزان الثقة بالنسبة لكم مكسور وغارق به الوحل..

أنا في هذه اللحظة أثق بالوحدة..

ها ها ها، ليس بالوحدة العربية، كلا، بل وحدة الحال والمكان والزمان، وحدة أشد من أن يعيش الإنسان بنفسه في زنزانة انفرادية مرغم عن نفسه، إن البوابة الوحدية للخروج من هذا المأزق المتوحد هوالبوابة الرئيسية لكل من يهوى ذاك الثقب الافتراضي، عليك أن تكون حذرا من أجل أن تنجوا من لعنة الحواجز الإلكترونية في ذاك العالم الغريب..

هنا تجد المثالية السمحة في التعامل بين الأشخاص، هنا الجميع مثاليا لدرجة أن تتصور بأنك أنت المخطأ الوحيد في هذا الكون،

تناسق في كل شيء، في الكلمات والعبارات وانتقاء لكل المناسبات حتى تجد نفسك بأن الشخص الغير مثالي الواقع في الغباء..

المثالية هنا تقتضي أن تكون مساح أحذية من أجل أن تحصد مزيدا من الإعجابات والتعليقات، وأنت يجب أن تكون مثاليا أيضا مثلهم تماما حتى يقال عنك أن متفاعل، ولكن يعجبني من يقف على ناصية المعركة الزقاء ويراقب بصمت.. !!

هذه الفئة إلى الآن لم أفهمها، هل هي تراقب بصمت أو تختنق بصمت، أوتسر بصمت، أو تغرق بصمت، المهم أن وجودها علوي لا تمس ولا تلمس ولا تراها، ولكنها تراك وتسعى معك حيث تريد وأينما تريد، تشعر بأنها عصى موسى وأنت ذاك النبي الخائف من عظمة الخالق..

أنت هنا تصنع نفسك بنفسك بين كثبان الرجال والنساء، فمارك رضي الله عنه مؤسس هذه الثورة الرقمية الزرقاء التي اجتاحت العالم عن بكرة أبيه، هذا العالم الذي يدعي بأنه قدوة في الترابط الأسري جاء من يهزهم ويزلزل غرورهم ويجعلهم عبرة لمن يعتبر..

لم يعد لمجالس الرجال هيبة، ولا لمجالس الجدات دفئ، ولا لمجالس الأمهات حنان، البيت الذي في أحشائه قوة في الإنترنت عليك أن تعرف أن به أقوى رابط أسري، فالأب والأم الذي يريد

من أبنائه أن يتسولوا ويتجولوا في الأحياء وذاهبين وقادمين من هنا وهناك فعليه أن يجلب لهم طاقة إلكترونية هائلة فيها قوة في الإنترنت من حفاظا على روابطك الاجتماعية التي ثقبت أذننا الوسطى بها..

عائلات تنهار بين عشية وضحاها فقط لسبب واحد، حمار البيت، عفوا المسؤول عن البيت، الكبير الذي له كل تدبير، فقط بخطأ واحد ظانا بأنه يفهم وبينه وبين الفهم مسيرة ألف عام يتركب مجزرة صغيرة في البيت..

وكيف ومن أجل ماذا !؟

لأن ابنه الكبير أغاظه ولم يحتوي المشكلة، ليقوم الحمار الذي يرتدي بنطال وقميص وبكل برودة أعصاب يقطع كابل الإنترنت أو يغير الرقم السري..

لجن من في البيت من أبناء، لماذا قطعت الإنترنت !، لا جواب عنده سوى الإغاظة وإشعال المشاكل بين الوحدة الاجتماعية بين أبناء البيت الوحد، وهنا تحدث الكارثة وتبدأ الاتهامات تتهاوى بين الأبناء ومن كان السبب، طبعا هذا السيناريو يذكرني بالسيناريو المتداول بين الشعوب العربية والأنظمة الدكتاتورية..

الشعب يقوم على حكومات ويدع الحاكم، ومن غباء الشعب ومن العلف الذي يأكله ليلا نهارا من فول مدمس وفلافل وحمص

يتناسى ويتغابى الحاكم لأن الحاكم سبب الكارثة التي حلت بالشعب..

طبعا كالعادة يحل البرلمان ومكتب الوزراء ويبقى الحمار ابن الحمار فوق الرقاب..

يلعن رب العرب..

لأن ربهم من وهم، وهم في قمة الوهم، وهم يعرفون الثقب الذي يدخل منه ريح الفتن وفي نفس الوقت يتجاهلونه..

لن تعرف من الصغير هنا..

أو ربما أنك تعرف ولا تريد أن تعرف، وإن كنت تعرف فتلك مصيبة وإن كنت لا تعرف فالمصيبة أعظم، فالأفضل أن لا تعرف أبدا..

المهم يجب على المجتمع أن يحسن استعمال تلك الآفة أو النعمة بلغة أصح، إنه فقه الآلة أوفقه الإنترنت أو آداب المواقع وحسن التعامل معها..

إن مثل هذا العالم الضخم بحاجة إلى ضوابط وبوليس كي ينظم عجلة السير، فهناك المشهرون وهناك المفترون وهناك الفتانون ..

لا تعرف كي تضبط هذه الآلة الصغير إلا بالصمت، هناك ثلة من الناس يعجبهم العيش في الواقع، لم ينقادوا إلى هذه المعارك الزرقاء الضارة، لون الطبيعة يعجبهم حتى لو كانت الطبيعة طاغية ومتجبرة، وهذا العالم لم يعد على مقاسهم أبدا، إنه عالم المنفصمين شخصيا تماما..

وماذا هو عالمكم !؟

إنه الواقع بحد ذاته، الواقع الذي هربتم منه، وها هو يتراكم على عجزكم حتى تستيقظوا من هذه الترهات وتروا هذه النفايات التي ألقيت على عاتقكم تتراكم حتى تلتهمكم بلقمة واحدة..

عالم ينحدر إلى النوم والشخير والوجبات الجاهزة، كل ما به من نسمات متجبرة تستيقظ في كل صباح ساخرة من واقعها الأعرج، والمصيبة ليس بالعرج كلا.. !!

المصيبة بأن عيب العرج قد كساهم من ساسهم رأسهم وهم يدعون الاستقامة، هزلت وألف هزلت إلى أين وصل بهم الحال.. !

الحال هنا أن تهرب ولكن إلى أين.. !!

إلى نافذة صغيرة بقدر بكف، مساحتها ككف يدك أو أصغر أو أكبر، كل له مساحته التي اشتراها من جيبه الخاص، بقدر الألم أو الراحة، بقدر العلوأوالهبوط، بقدر الغيب أو الجيب..

مقدر لك أن تكون هنا، ومقدر لي أن أكتبك، مقدر لنا أن نلتقي على أحد صفحات الورق يا صديقي، بيني وبينك بحر وألف كيلومترات من الوجع ووطن ينزف ليلا نهارا على مرأى الأمم التي تكذب علينا في كل لحظة بأنها مع الإنسانية..

سامحني يا صديقي لأنني لا أستطيع أن أفعل لك شيء سوى أن أكتبك فقط، الكثير من الناس عندما يتصفحون روايتك سوف يتأثرون، ولكن هذه القطعان يتكاثرون، ليس على قصتك يا حبيبي، بل على الكذب يتسابقون ليعرضوا لنا عضلاتهم الخافتة..

ها نحن اقتربنا إلى العبارات الخافتة، أنت عليك أن تختصر لنا الألم وأنا عليّ أن أكتب الصدى الصادر من تلك الزاوية في العالم التي تدعى بالبنان الشقيق..

بصمة عار أسجلها للتاريخ عن هذا الوطن الممزق بالطوائف المتناحرة والأحزاب المتعاركة على لقمة الخبز الحرام، ويا حرام لو ترى الحكومات التي تعتلي سدة الرئاسة لوطن الأرز والبحر ..

البحر وحده يعلم كم من أخطبوط تخطى تلك السواحل..

ومن من حوت في وحل الوطن العقيم يبيع ويبتاع على كيف أمه، طبعا لن أقترب إلى الأمهات لأن الأم في عقيدتي لها وهلة القداسة العظيمة في عالمي..

إنه عالمي الخاص المحاط بحنان الأمهات العظيمات، ظلمنّ بعض الأمهات لأن الأبناء لم يكونوا على القدر الكفي من الثقة بالذات، وهنا تكمن الحكاية، إنها ليست حكاية وحب إنه جرح بنزف من أقنعتنا المبتلة بالخداع والنفاق، وكلما تقدم بنا العمر نعرف أننا أشد كذبا وأكبر جشعا..

إنها الساعة الثامنة بتوقيت البرد القارص الذي يجتاح قلوب آلاف الأطفال العالقين في مخيمات اللجوء، تلك البراعم التي استبدلت وطنها بخيمة من أجل كذبة صغيرة جدا صدقناها ونحن نعرف أننا كاذبون..

إذا لم تكونوا بالقدر التام لهذه الحركة لماذا قمتم بها، من أجل أن تأتي القطعان المتطرفة كي تحم رقبانا !!، طبعا لا جواب عندكم ولا لقمة لتسدوا بها جزع البشر الذين شردتموهم من أجل الكرامة..!!

هل هذه هي الكرامة التي كنت أبحث عنها.. !

أناس في القصور باسمنا وأناس في الخيام والجحور بسم تجار الوطن !، ماذا حدتم يا قوم سوى حظنا القاتم بالألم والجراح، قضية ملوثة بألف ألف كف، أكف ملوثة بالدماء وأسمائنا مبتاعة للغريب والقريب حتى الأمم نملت قضيتنا، الشاطر الذي يريد أن يتبرأ من إنسانيته من أجل أن لا نسند ضعفنا على كفته..

تبا له ولكتفه..

نحن لسنا جوعى يا ابن الحرام، نحن كنا ولا زلنا نطعم الوطن العربي من حقولنا ويلبسون من معاملنا وينظفون مؤخراتهم ووجوههم المتسخة من منظفاتنا، لدينا عقول جبارة تهتز لها المجرات، فقط نريد منفسا صغير وسترى المعجزات من شعب أهرقه الحرب..

هكذا ومن غير أية مقدمات، وبكل بساطة سوف نقول بل سوف نفعلها:

بدنا نعيش يا أولاد الحرام..

عندما تأتيك أول صفعة من أعز صديق لديك تكثر عليك الصفعات لتأتي من القريب والبعيد حتى لا تعد تميز من هو الذي يقوم بصفعك، والمبكي المضحك في آن واحد أننا لا زلنا نبتسم للحياة، بالرغم من حمام الدم الذي غسل ذكرتنا المهترئة..

متعبة الأحرف على سطور البحر تحمل أناسا من بني جلدتنا، هربوا من خطأ مطبعي يشيعهم في نشرة إخبارية تحت رقم ما في وقت ما، وبكل برادة أعصاب تتفوه الأمم أن أغلقوا التلفاز فقد مللنا دمائكم..

وقاحة هذا العالم طفح كيلها إلى عبارة اعتدنا أن نقولها دائما:

من كثر الخوازيق لم نعد نشعر بشيء..

من كثر الضربات لم نعد نثق بأحد، ولا حتى بأنفسنا..

متشائم.. !!

نعم وكلي شموخ بتشاؤمي..

لكم حب الأمل الكاذب المصطنع ولي شموخ التشاؤم المبحوح من حنجرة الوجع، إنه الوجع الذي يسبق أية نشرة إخبارية تنشر بها دمائنا النازفة على منشر العيون المخادعة..

نعم إنها الثامنة والنصف بتوقيت سهراتكم في البارات والملاهي الليلية، إنها بداية الارتجاف وهبوب الرياح على الخيام، وأكوم حطب قد جمعتها طفلة من أحد الغابات المتآكلة، قدر على الجمر، وعلبة فول تحركها الرياح، وحبل غسيل لأطفال الشهيد، وأطفال الشهيد تحت خيمة قذرة أقذر من وجوه زعماء العالم بأكمله..

القذارة ليست في الوجوه، القذارة أن هذا الحمام الدموي لصالح من !؟، الجميع يريد أن تكون هذه الحرب طويلة الأمد، دائما أوجه سؤلا وجوابا للناس في وقت واحد:

من الذي يريد أن يبيع الأسلحة !، ومن الذي يريد أن يبيع الطعام والشراب والدواء لهذه الدول المتضررة !، هل حقا أنا الآن في بلد ليست بلدي !، أوفي خيبة ليست ببيتي !، هل فعلا تحطمت الأواني والصحون والطاولة وحل مكانها هذه المعلبات القذرة وأكياس الأرز والبرغل!!

ماذا حصدنا إلى هذه اللحظة.. !!

الخسائر والهزائم والجبن والخنوع والخوف من أنفسنا..

نعم وما خفي أعظم، أعظم بكثير من التخفي خلف الكلمات المنمقة من أجل أن تقولوا بينكم وبين أنفسكم:

واااو.. مبدع.. !!

هل نسج الكلمات المؤلمة إبداع يا قوم.. !!

أرحمونا بالله عليكم، إنه واقع معقود بزمام الألم، أنكم لن تستوعبوا هذا الرعب الملوث بكل نجاسة هذا الكون، لم تعيشوا تلك المشاهد القاتلة..

لأنك تريد أن تعيش يجب عليك أن تتخطى كل هذا الدمار، من أجل أن يأتي شخص شبعان ليقول لك بكل برودة أعصاب:

كيف نجوت من هذه الحرب.. !!

لم أنجو منها والله، أنا أحملها معي أينما اتجهت، إنها في حقيبتي الممزقة التي استعرتها من جارتي في الخيمة رقم 1376 التي لا أعرفها، قلت لها سامحيني إن لم أعيدها، قالت لي:

الوطن راح..

بكل سخرية كررتها، في فضاء صدري أحدثت قرقعة وتدحرجت الكلمات المستهزئة حتى تأهبت للموت، كأنها أرادت أن تقول:

الوطن أولا، ثمّ أنت ..أي جهز نفسك..

أجهز نفسي لأي حدث!!

للموت يا حبيبي..

لم يعد أحد يحصي جماجمنا، لأن أرقامنا لم تعد تهم أحد..

الواحد الأحد مهتم بهذا القدر الذي نسجه لنا، علينا أن نشكره على هذا العطاء لأنه عطاء لا ينفذ أبدا، علينا أن نذبح ونرضى لأن الرضى إيمان بالقضاء والقدر، علينا أن نحمد ونسجد ونركع رغم الجوع والعطش والذل والعذاب، أما القسم الثاني من فصيل الوحوش فإنها في نعيم مقيم تبيعنا وتشترينا وتستعملنا كأداة للتجارة والربح..

علمة صعبة، نعم نحن أصعب عملة مرت على التاريخ، إنها تجارة البشر واستعملهم كمهمة رسمية توضع على طاولة الأمم

المتحدة كي تعبأ الحقائب بالدولارات، طبعا لا نرى من الجمل إلا أذنه..

جميل أن نرى أذنه، جميل أن نرى من براميل الزيت نقطة صغيرة في صحن لألف معدة، وبعد ذلك يطلبون منا أن نشكرهم ونصفق لهم..

على ماذا يا ترى ؟

على سرقته..

سرقوا منا أجمل ما بنا، أرجوك لا تقول لي أضحك، أستحلفك بالله لا تقول لي ابتسم، هذه الأشياء التي تطلبها مستحيلة، كأن تحدث معجزة وتخرج أمي من قبرها.. !!

يا إلهي..

دعني أغير هذا الحديث لأنني سوف نفتح صفحة هي أغلى من الوطن !، أغلى من الوطن ؟..

نعم.. !!

من مثلا !؟..

أمي أغلى من الوطن والأوراق والأقلام والروايات وأنا..

أفتح متصفح المساحات الزرقاء، أبحث عن شيء يشبهني، شيء يجعلني أشعر بالدفء، أشعر بالشبع، أشعر بالحنان، أشعر بأنني ليس أنا وحدي من يغرق بالذل في بلاد الذل..

هنا في هذا العالم الأزرق الغريب الأطوار أواصل البحث عن حياة لا يوجد بها خيام ولا دماء ولا أشلاء ودخان ولا حروب، ولكن أهل هذا العالم نقلوا خرابهم إلى ودمارهم وخياهم إلى هنا..

وبت أهرب من موقع إلى موقع حتى تعثرت بنفسي..

نفسي التي ظلمتها كثيرا وقدمتها على بني البشر، أوصلتني التجربة بعد معاناة مع هذه الحشرات التي تتكاثر جنسيا إلى قاعدة جارتي التي تسأم من شتم أبنها لها:

لو ربيت كلبا أشرف لي..

وأنا أيضا لو ربيت جروا أشرف بكثير..

الذي فات مات، قاعدة العجزة والذي لا يريد أن يصلح من ماضيه، ولو قلت له عدل من حياتك، سيقول لك:

الذي فات مات..

لم يعد بقدوره أن يضع بصمه في جبين إنسانيته، أصابعه ملطخة بالنجس والأعمال الإبليسية، هومن صلب العائلة التي كون ذاك الذي تضع عليه الأمة أخطاءها، جميل أن نجعل مع الخطأ شماعة من أجل أن نريح ضمائرنا الكاذبة، جميل أن ننسج في خيالنا شيطانا ونضع له قواعد اللعبة بأننا نحن من فصيل الملائكة وأهل الخير وخاصته وهو النجس من أبناء الأنجسين.. !!

من الجميل أن نكذب..

ومن الأجمل أن نحكم الكذبة من أجل أن يصدقها غيرنا.. !!

أنا أسف يا إبليس..

أنا أعتذر لك لأنك وهم، أنا أعتذر للوهم، لأنفسنا الغبية، للسراب الذي أعمى بصائرنا، للضباب الذي أستحكم في الغياب، للخيال

المبتل بالخيانة، للشر المشحوذ بحجر خدعنا، للجبن المتربص بدائرة يأسنا، للخنوع الخافت تحت نار اليقظة، لأوتار أفكارنا التي يعزف عليها غيرنا..

عفوا من غيرنا.. !!

جميعنا يعرف من غيرنا..

لا مكان هنا للتفصيل والتنقيب والتمحيص، هنا زمان الأمنيات قبل مفارقة الحياة، والموت المفصل على مقاس البؤس المستبسل على تجاعيدنا، والفراق في محطات العودة إلى التراب..

الموت بصمت..

هكذا الفضاء يحاكي من ظنوا بأنهم أحياء، مناد ينادي بالعازفين لحن الطيران بين الغيوم:

اصطفوا، لا تزاحموا، كلا سيأخذ نصيبه من المرور على سلم السماء، تتعثر الأنفاس المخنوقة من تلعثم الخطوات المرهقة من مسيرة الحياة، وأنت هناك ترتب اختناقك كي تتأهب من جديد لحياة أخرى..

تتهافت تحت كل منشور مئات من التعليقات المبهمة، بحسابات حقيقية وأخرى وهمية، كلمات في القيم المنمقة، وأخرى في سفالة الوهم تدحر أفكار وتضع أفكار أخرى..

استوقفني حسابا حقيقيا يعني تخبط هذا الازدحام، يدافع عن قيم القيام، يريد أن يثبت لهذا الكون بصمته، ينادي في هذا الكون المهم أن حيّ على السلام..

بكبسة إصبع أكتشف تلك اللوحة المزركشة بالنور، شرقية الأصالة تنادي للحب، صورتها الراسخة في مكانها مضلعة وفي مفصل عينيها قبيلة حكايات مرصعة بالحب..

شعرها المنفلت على أكتاف الحياة لها أعزوفة العائدين مع نسيم السلام، بهية الطلة تهب بروحها كلما لاحت!!

هنا معلومات مهمة تبرز للعيون الحاسدة، معلومات تخص هذه الأيقونة التي لك يملس أحد من قبل، وما أدراني.. !!

في الأغلب لا تحب الظن السوء بالآخرين، لأنك تعلمت بأن بعض الظن إثم ولكن لا يخلو ظنك من الظن البائس، وتقاتل من أجل أن تحسن أخلاقك ولكن لا محال لأنك أنت عبارة عن جزء صغير لا يتجزأ من هذا الوحل الخبيث، ستبقى تغرق في الوحل ولن تخرج من انتماءك لأنك من طين، هكذا ومن غير أية مقدمات ولا أي سؤال أو حوار عليك أن تؤمن ولو بالحذاء القديم.. !!

ومع قدم هذا العالم المترهل بالمتناقضات أنت تحث عن ذاك النصف الأعوج كما قالوا لك، واليوم يثبت لنا ذاك الضلع الأعوج بأنه أشد صلابة واستقامة منا جميعا نحن معاشر الرجال..

العمر 28 عاما من الورد..

سن الحرير الهاطل من النور، يحبو على القلب منحيا للحب، يدغدغ الروح من غير إذن ويشذو مع المساء حين تصدر الشمس لحن الوداع، تنادي المهج مع كل سحب الكون أن أقبلوا حي على الحب.. !!

والحب يا صديقي!؟

الحب تلك الحلقة المبهمة التي نحنو لها كلما عزف المغرمون سمفونية الوجع، لا فواصل تؤلمنا سوى الفراغ المجحف في أحشاءنا، وهكذا ندور حول نقطة الحنان كما تدور النواة حول نفسها، النواة تصدر طاقة ونحن نحدث رجة وهزة تضحكنا تارة وتارة تبكينا مثل الأطفال الصغار..

ماذا تريد بني !؟

أريد الحب يا أمي.. !!

لو وصلت لذاك الحلم لما أنجبتك.. !

إذا كيف كنتم تمارسون الحب؟

كنا نمارسه خفية وفي عتمة الدرب نتجسس عليه كأننا لصوص..

ألم يطلب الحب يدك يوما على سنة الله ورسوله!؟

نعم أنه طلب يدي ولكن لم يطلب قلبي..!

أيعقل بأننا أبناء حرام؟

بل أنتم أبناء حلال ولكن ينقصكم كلسيوم الحنان..

أنت يا أمي ينبوع الحنان..

وأنتم هو محيطه الغاضب الذي يريد حقه..

وما هو حقنا ؟

الحب المغمس بكل ما هو لذيذ، لا تتنازلوا عن حقكم باللذة، فإن تنازلتم فحياتكم ستضحي كالجدران..

من هي هذه الأنثى يا ترى.. !

هل أرسل لها طلبا للصداقة !، وبين كل سؤال وسؤال أفكر دائما بالسؤال الحشري الذي يرتاد عقلي:

أرسل لها طالبا للإضافة ؟، وبصفتي من.. !

بصفتي أحد أبناء هذا الكوكب، أليس المؤمنون أخوة !، أليس كلنا أبناء بني آدم !، أليس نحن من رحم حواء وحواء من تراب !، ألسنا نحن أقارب وأبناء عمومة.. !

نعم..

ولكن هذا العالم ليس على مقاسنا حتى يستوعب مساحة الإيمان التي في صدري، في هذا الزمان أرى شبان هذا الكوكب يخلعون إيمانهم من قلوبهم كما يخلعون أحذيتهم من أرجلهم، فصيل كبير يتخلى عن أفكار الكبار الذي كان يقول عنهم أبي:

ما خرب بيتنا غير الكبار..

طبعا إلى الآن لم نعرف ماذا كان يقصد أبي، دائما نكسر بصلة ونضعها على أنوفنا كي نصمت ولا نعدي عليه السؤال الدارج:

أبي من هم الكبار..

يغير من أتجاه حديثه حيث الغروب، لا أعرف ما الذي كان يعجبه في جهة الغروب، لعلها النكسة التي خسر بها في حرب الجولان،

أشياء مدفونة في الأحشاء لا نعلمها فالله وحده من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور..

العالم يتبدل ويزيل قشوره التي لم تنفع الأمم السالفة، العالم يتجه نحو شيء جديد، عالم خالي من القاذورات الفكرية والعقدية والقومية، ها هي الأرض تبتلع فضلات البشر وتبتلع معهم أفكارهم التي لم تجلب إلى الطبيعة إلا الشر والوحشية، دائما كنت أقول بأن الكوارث الطبيعية التي تجتاح القارات لم تأتي عبثا.. !

عبثا بها أن تأتي من غير عدتها المخيفة حتى تحرق وتغرق وتدمر كل من حولها وتجعلهم عبرة لم يعتبر، وبعد كل هرس ومرس تقول لنا الحياة:

من يعتبر.. !

لا أحد، ربما الذين سرقت الأرض أحبابهم وباتوا وحيدين يقلبون صفحات الليالي الحمراء على أسرة البكاء والعويل، إنها قوانين السماء بل قوانين الطبيعة إذا غضبت، فإنها لا تنذر وإنما تبتلع من غير إيذان..

الإيذان في هذه اللحظة أن أكتشف هذه الأنثى، إنها حياتي المبنية على الاكتشافات، إنها حياة كل إنسان، إنها الحقيقة التي ينقب عنها ملايين البشر على كوكب النجاة، حقيقة الوجود المرهقة من تدابيرنا الغير عادلة، العدالة مرهونة بيد القضاة، والقضاة منعمون

ومحصنون قانونيا وفكريا إلى درجة أنك لا تعرف ما هوا المنطق من هذه الفكرة، إن الفكرة نتاج لتجربة معينة في زمن معين توافق فصيل وتردع آخرين، ولعلها تكون ركنا أساسيا تراق من أجلها الدماء لمصالحة فصيل يلعب خلف الكواليس من أجل ملئ الجيوب وسد ثغرة الشهوة الشرسة التي تدغدغ أحشاء الإنسان..

أراقب خصال شعرها، أشعر بقرصة على كتفي الأيسر، إنها قرصة الذاكرة عندما كنت في العاشرة من عمري وأنا أنضر من ثقب السور الذي يفصل بين بيتنا وبيت الجيران..

سبعة من البنات الجميلات لجارنا الذي يعمل ليلا نهارا في تصليح المصارف الصحية في منازل المدينة، ولكنه أنجب من البنات سبعة، سبعة كأنهنّ أقمار، أرادت زوجته أن تنجب له طفلا يحمل اسمه ويكون له عونا في كبره، ولكنها أنجبت له ملكات من الجمال تكفي لقبائل العالمين وتشبع جياع الطامعين، إن جمالهنّ غزى المدينة، وأضحت كل واحدة منهنّ حديث الأحياء الكبيرة والصغيرة..

ومع صغير سنهنّ إلا أن عيون الأمهات في كل أصقاع المدينة تخبئ لكل أبنا لها بنتا من بنات جيراننا الذين أضحين حديث القاصي والداني وشغل من ليس له شغل، تعجبني البساطة والشموخ وعزة النفس المكللة بالكمال والجمال عندما تسير

أحادهن من أمام منزلنا، بكل مكابرة يفتخرنّ بأبيهن الذي يفتح كل حفرة محشوة بفضلات البشر، ولكن تغركم مهن الرجال أبدا، فمختار الحي لديه من البنات المتكبرات والمتعجرفات ما يجعلك تستفرغ ما في بطنك، لا عليك يا حبيبي..

كل ما عليك هو أن لا تنظر إلى بنات المختار حتى لا تسد قابليتك على الطعام، فإن القرف في الوجه والتعجرف في الصدر والتكبر في القلب يسد أنفاس هذا الحي عندما تتبجح إحداهنّ وتمر في شوارع هذه المدينة المختنقة بالمتكبرين..

جمال الجارات يجعل من القلب لص خطير يتلصص عليهنّ في كل برهة فجر وفي كل انبلاج نور، إنهنّ النور المفقود الذي أتى كي يعيد لهذا الكون اتزانه، سبعة كعدد سموات الله السبع في كل سماء تجد بها ضالتك..

ضالتي كان وقتها أن أخترق السور الذي يفصل بيتنا عن بيتهنّ وأراقب تحرك تلك الملائكة التي تجول في بيت من تعب..

كحبات اللؤلؤ المنثور جالسات في فناء البيت، قد فتحت كتب الدراسة وتشتت الحكايات والضحكات والشجار الودود، زهور من فصيل الزنق البري تتطاير في رحاب البيت، وأنا المولوي الذي يتراقص في مساحة الخيال يسرح ويمرح مع الفراشات المتطايرة في قلبي..

قلبي يشعر بلسعة في القفص الصدري، بل في أعلى كتفي، إنه الوجع ولسعة الدبور التي تكاد أن تفتك بي..

ألتفت خلف ظهري فإذا هي أمي..

تفلت في وجهي، وجهها المحمر كأنه ببور كاز يريد أن يحرقني ويجعلني كعصف مأكول:

ماذا تفعل هنا ؟

أتلعثم وأحاول أن أبتلع ريقي المتصحر، تتعرق الجبهة اليمنى وأحاول مسحها بكفي المذنب، كأن المسح لن ينفع، الذنب بحاجة لصفحة على وجهي:

أنا .. أنا ؟

أمي التي عقدت وجهها بالغضب تعرف كل شيء، وما أدراني بأنها كانت تقف لفترات طويلة فوق رأسي وأنا أسترق النظر إلى بنات الجار المسكين، إنه عرضه الذي استودعه للمولى قبل خروجه للعمل، وأنا الشيطان الذي يتلصص على عرضه في غيابه، بل أنا سبب نزول البشرية إلى هذه الأرض، إنها فلسفة الكماشات التي تعلق عليها مصائبنا وزلاتنا:

أنت شو؟

متلعثمة الكلمات في حنجرتي لا تكاد تقوى لتقوى، إنها التربية القاسية والجفاف العاطفي الذي ذاقته مجتمعاتنا من تصلب عقول الكبار، والحب هنا أضحى جريمة نعاقب عليها تحت أية مسمى:

أنا أخطأت وأطلب السماح والمغفرة.. !!

أين تباع هذه الأعذار ؟

في رحمة الله التي وسعت كل شيء !

كيف سوف نخرج الأموات من قبورهم..

كيف سوف يسامحنا الأحياء في قلوبهم.. !

كيف أداة تستعمل للسؤال، لجر الأعذار، والتمسك بالأمل، والأمل منصوب بكل أداة الوقائع المخزية، نحن بحاجة إلى الحب والحب هنا ملاحق بكل أدوات المصائب، تريده الناس وتهرب منه في وقت واحد، ملاحق بكل الأسلحة للقضاء على كذبتنا وإخماد مصالحنا..

مصالحنا التي لا تنتهي، تخيل بأننا نحن من ننتهي وتنتهي أحلامنا الجميلة الرقيقة من أجل نقص نحن خلقناه وصدقنا كذبته المشتعلة بالنفاق..

إنها هي تلك التي تقاتل من أجل القيم الجميلة، إنها هي التي تريد فرض جمالها وتفاصيل رقتها على قلوب المتصفحين، إنه هو أنا الذي أتصفح ما تحتويه قلبها التي يتصبب منه الحكمة والكمال في كل شيء..

أقيس مسافة الوله بالوجع الغارق بي، مأساة أن ترى ولا تلمس، أن تشتم ولا تتذوق، أن تسمع ولا تعي، مأساة بحجم جحيم الشرق الأوسط..

وها أنا في معمعة المأساة أتصبب جاذبية نحو شيء لم يألفه قلبي، بكبسة زر صغير، بلمسة أصبع متشقق من مواد البناء وحفنة الذل

المعتق، بهفوة الروح المبدد، بكل معامع البشرية وفرحهم رحت أطلب القرب..

تقول الحكاية:

وما هو القرب سيدي !؟

طلب إضافة، إنه طلب صغير أخترعه القديس مارك كي تتم بين بعض الأطراف التواصل مع بعضها، إنه قد جعل هذا الكون قرية صغيرة ببيوت واسعة مكشوفة النوافذ والأبواب، يتزاور الناس بينهم بلا احم ولا دستور..

يتعارفون عراة بأفكارهم وأحلامهم، قبلتهم واحدة وتسابق فيما بينهم بالحدث والخبر، وتجاذب وبتخبط بين الوقائع وعالمهم الافتراضي، لأن تطلب القرب من أحدهم بطلب إضافة، كأنك تريد أن تدخل إلى قلبه، القلوب هنا غير مسورة إلا بالعبثية النسبية لقوانين الحياة..

هل أنتظر الرد حتى تقبل الإضافة.. !!

سألت نفسي على ماذا سوف تضيفني تلك المكللة بندى الصباح، صفحتي فارغة كحياتي تماما، حسابي مشقق يتسرب منه عفن الخيانات العربية، هل يا ترى ستقول تلك التي طلبت منها قربا على سبيل الصداقة الافتراضية بأنني مدسوس.. !

جميعنا مندسين نعمل لصالح رجل ما، أو نتهافت خلف مصلحة ما، ولكن من أجل ما يا ما ! !؟

من أجل ثلاث أشياء هي لم تنحدر من أرحام أمهاتنا، وحتى أزيد لك من الشعر بيت أيضا هي لن تموت معنا، وعندما يشتد عودنا ونتعلم نجس الحياة من آباءنا نلهث خلفها كأننا كلاب ضالة شاردة تريد أن تشبع غريزتها، إنه المال والجنس وحب الذات..

هذه الأشياء فعلا هي من أسياسيات الحياة، ولكنها تصيب صاحبها بالعمى إن لم يضع في قلبه برنامج حماية تردع الأطماع وتدحر الجشع، حان الوقت من أجل أن يصنع العلماء برامج تقتحم طبع الإنسان وخلاياه العصبية حتى يعود الخير إلى صدور البشر..

ولكن من له المصلحة بأن يعود الخير إلى هذا الكوكب !؟..

طبعا لا أحد..

لا أحد يريد ليس من أجل الشر، كلا بل من أجل أن لا تتعطل مصالح الحيتان التي تلتهم البلاد والعباد، طبعا هذه الحيتان لها ثغرات وهفوات كبيرة وملفات في الفساد وحول من الخراب وقضايا ضخمة في استباحة الأرواح البشرية والكوادر الطبيعية والثروات الباطنية، إنها ملفات خالية من أية صلة بالإنسانية، ملفات تتأجج منها رائحة الغدر والخيانة وقلة الحيلة والأمانة،

ملفات خالية من دسم الرحمة والمحبة ولكن يتقاطر منها دما حراما مغمسا بكل أنواع القذارة ومشتقاتها..

ستصبر لأنك من فصيلة بني البشر، ستصبر لأنك محاط بالأعين والثرثرة، ستصمت لأن الحديث أمام أبناء الحرام حرام، إنها الفتوى الصادرة من أهل اللحى والعمائم والطيلسان والمحاريب والصلبان، ووالله لو علم السيد المسيح والسيد محمد بما فعلوا أتباعهم من كذب ونفاق لاعتذروا لله عن تلك النبوة والرسالة..

النبوة ليس منصب، الآن أصحاب السنادة والريادة والولاية من فخامة وفضيلة وسيادة الوحوش المنتشرة على وجه الأرض..

أتعبت خطى المسير نحو السلام، يتحرون بصيص سلام حتى يسدوا شقوق أوزار السماء التي تدلف علينا بنورها ومائها وتلقب طقسها، وأن تتقلب في قلبك وتلتزم ردة الرد والردع لعمري هذا النفاق بعين ذاته..

أثبت أيها القلب فإن في أحشاءك نار كنار الله الموقدة، ولكن فلسفة هذه النار من صنعها !، ولمن !، ولماذا!، وهل يحتاج هذا العالم إلى مزيد من الجحيم يا ترى !؟..

تراودني عدة أسئلة أرفعها إلى السكرتير الرسمي إلى الله، أوراق مبعثرة على طاولة السماء، وملفات مكدسة أعلى من هذا الفضاء،

وقضايا مصفدة تنتظر أن يبعد عنهم العناء، وشكاوى وأحزان وأشجان وحب وبغض وكركبة ما بعدها كركبة..

هل وصل لهذا السكرتير ما يسمى بالتكنلوجيا التي وصل إليها الإنسان، أم لا زال من في السماء يبحثون في قضايا العصور الحجرية وسط هذا الخراب الهائل.. !

الأنبياء والصالحين من بعدهم إلى الآن لهم دين كبير عند الله، لقد أوذوا في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وأصحابهم من أجل فكرة صغير جعلت من هذه القطعان البشرية عبارة عن مطحنة تسحق بعضها البعض من أجل عيون هذه الفكرة، كان ولا بد أن يجعل من على الأرض من بشر مخيرين ومسيرين أمة واحدة يريحنا من هذا الظلم..

هل يعجبه هذه الطاحونة التي تجز الأعناق وتزهق الأرواح.. !

فلسفة القاتل والمقتول..

معقدة للغاية، معقدة حد الاستغراب من هذا الدم المراق في مزراب الآلهة كي ترضى وتشفى من أحد الأطراف، إنها كومة الصوف المعقدة في سبيل الهباء المتناثر في جوف الفصائل المتناحرة الكاذبة، إنها أشبه بكذبة متماسكة الأطراف ليس لها حل أو فكاك إلا بنهاية هذا الكون..

الرعب مسيطر على البشر، مسيطر على الضمائر، مسيطر على القلوب والعقول، الجميع متربص بالجميع، الجميع مستنفر من الجميع، الجميع يحمل أسلحة وأدوات عدة للموت..

والموت جالس على أرجوحة السماء يحيك بسنارته مقابر لنا، وكلما دخلنا إلى ثوب القبور، ابتسمت لنا وحشة الذاكرة مع أناس شاطرناهم هذا العمر الجميل بكل بساطته وتفاصيله الرقيقة..

بالمختصر..

الله يلعن أبو هالعمر..

ليش يا حباب !؟..

لأن حشرجة الروح وصلت إلى الحلقوم..

على قدر الانتظار أطهى بصمت، أنتظر أن تفتح رما أو تحتل، إنه مفهوم المغالطة والملاعبة بالرمز الكونية التي لم تجلب للبشرية سوى الخداع والأكاذيب في سبيل إقناع أغبياء الأحفاد التي سوف تأتي بعدهم..

خدعونا فقالوا هذا شرع الله..

وبعد مضي زم من العمر نكتشف الخرافات والأوهام والأحلام السرمدية، وها نحن الآن نقف في المنتصف لا نستطيع مواجهة أحد من الذين رحلوا لأنهم رحلوا، ولا نستطيع مواجهة الذين تشبروا كذبا من هذا البئر الغارق بماء النفايات، ولا نستطع مواجهة عقولنا..

صديقي الذي يقرأني..

بكل بساطة أنت تعرف الحقيقة جيدا، وتعرف أنك تعرف الحقيقة، وتدافع عن وهم أنت مخضب به، وتريد أن تخرج ولكن أمامك مد يسمى العادات والتقاليد وخلفك محيط يدعى الدين والاعتقاد، هم أعداؤك بكل تفاصيلهم وهيئاتهم وكذبهم ونفاقهم وتقلبهم، وأنت

عدو نفسك إن أتبعتهم وانحنيت لهم وسلمتهم عقلك وقلبك وجوارحك..

في الحقيقة يا صديقي والحقيقة مرة وأنت تعيها جيدا..

إنهم لم يخاطبوا عقلك يوما من الأيام، لأنهم ضعفاء أما العقل ودهاليزه وفطنته..

هم كلما وجهوا عقولهم، أغمي عليهم من غبائهم وانسياقهم خلف الأوهام والأحلام الغير مرئية، خدعونا وقالوا هذا هو النور، إلى هذه اللحظة وأنا على أبواب 2019، وأنا أبحث عن ذاك النور الذي ألجمونا به وجعلوا من عقولنا زريبة لوجوههم وأقنعتهم أكثر من ثلاثين عام، ثلاثون عام وأنا أسير إلى الخوف، وها أنا أقترب إليه بكلي كأنني أبحث عن بعبع..

بعد أن اكتشفت أن لدي عقل، سلمت كلي للمنطق والفهم الصحيح وبدأت رحلة البحث عن الذات، عن حياة أخرى الناس تخشاها وتخشى أن تتخطاها، أيعقل أنها رحلة عسرة.. !

نحن من نخيط حدودنا بأيدينا مع أن المساحة كافة لكي نسير ونكتشف ما خلف الكواليس، خلف الكواليس يكمن النور المعتق بالهدى، ويعتقد معظم الناس أن الهدى عبارة عن مساحة مستديرة مغلقة يطوف في أحشاءها السواد الأعظم..

لعمري إن مشيت وحدي في الظلام وعرفت بعقلي أن ذلك حقا، أحب إليّ من أن أمشي مع قطعان الخراف وهم محاطون بالنور..

ـ مرحبا..

إنه بنك الرسائل، والشاشة الزمنية لأعرف من أنا، أو ليكتشف الطرف الثاني من أنا، أو لنلتقي خلف الضباب الأزرق..

من الطارق..!

ما طرق بابي أحد إلا لمصلحة في نفس الطارق، وأنا الذي يمد قلبه للقريب والبعيد بغية إغاثة ملهوف أو إعطاء كل ذي حق حقه:

ـ مرحبا..

يظهر لي أن الكتابة جارية، أجري نحو الصفحة التي تراسلني فإذا هيّ، إنها هي إذا، ترسل لي تحية ود من بين حرب وورد، وها هو قلبي يزهر من بعد أن تحطب عطشا من النزلات القدرية التي أودت بي نحو بلاد لا يحترم حجر ولا شجر:

ـ كيف حالك.. !

أمي وأبي وحدهم من يسألني عن حالي، يا آنسة الجليد القادم من الجنة أنا ضحية رقم من بين أكوام من الأرقام التي ينزف من تحت سطورها دم العروبة، أنا يا آنسة الحور مصاب بشتات قوميتي وحثالة اعتقادي:

ـ شكرا لك آنستي، الحمد لله.. !

إنها إجابة من ليس لوجعه وجع، إنها تركيبة عطر من عصارة الرضى بالقضاء والقدر، إنها مزيج فحولة كاذبة لا تقوى على ركن ظهرها في جوف بيتها:

ـ عفوا، هل تعرفني.. !

ماذا تراني سأقول لها !، هل أقول لها بأننا كنت أتجسس عليها من بين شال شعرها المنسدل للحياة !، أو أنني أعد رموش عيونها التي شقهما الله بمشرط جماله !، أو أمحص تناثر حمرة الوجنتين على فسحة خديها !، أم أتفحص انفلاق شفتيها بين كل صورة وأختها.. !!

أنت هي وكلنا أختها يا أخت اللغة ومشتقاتها الأرجوانية:

ـ لا أبدا .. ولكن شكرا على قبول الإضافة..

مرتجف أنا خلف مقود الذات يتحكم بي قلبي، يسر بي مع جيوش مشاعري نحو شواطئ كمالها، أحاول أن أصدّ تلك الأمواج المتدافعة نحو بلاطها، ولكن لا رجوع..

هكذا قالت تلك الأجندة التي تدافعت نحوها من غير لا حول لي ولا قوة:

ـ أهلا وسهلا بك.. !

كأن روحي سمعت نداء الحق عندما قال:

أدخلوها آمنين..

كأنني ما قرأت في هذه الحياة غير كلماتها، كلماتها هي التي كنت أنقب عنها كي أجدها هي، إنها لم تجدني وإنما وجدت كل شيء من بعد أن فقدت كل شيء:

ـ شكرا جزيلا مرة ثانية.. !

ابتسمت، أيعقل أنها ابتسمت !، أيعقل أن قلبي فتح أبوابه الصدئة من بعد أن تمزق به الجفى:

ـ ولو العفو، وبكل سرور.. !

إنه الإذن بالهوى والهطول، أهطلي عليّ يا سحائب النحيب أمنا وسلاما، وأروي جداول شغفي المتصحرة، ه هزي خصال بقاياي كي أحيا من جديد:

ـ هل أنت سوري !؟

كأن هويتنا في هذا الزمان المتغطرس بالجحيم أضحى لعنة تحل على صاحبها، تتلاشى موجة السرور من ملامح الناس عندما تعرف بأنك من سوريا..

إنها سوريا يا مجانين..

إنه وطني يا أوغاد..

وطني الذي لا تجوع به أمعاء ناعمة، ولا تخاف به روح آمنة، ولا تعطش به حنجرة صادة، إنه وطني الذي ابتلع أجساد ملايين

من علماء العقول النورانية، فكم وكم له في أعناقنا فضل مديد وجميل مزيد..

ـ نعم أنا من سوريا..

كأنني أول مرة أكتبها بفخر، وأعتز بأنني من مواطن الصالحين..

ـ وأنا أيضا من سوريا..

تساوينا في وجع الوطن ولكن بقيت المسافات، نحن لا نعيش حيث ولدنا، نحن نعيش حيث الفسحة المختفية من قلب الكلمات، وما تنفع الكلمات بعد أن هجرنا الوطن، ليس باليد حيلة..

ولكن نحن محتالون إلى درجة أن أنفسنا قد تخلت عنا، لدرجة أن أروحنا قد أنكرتنا وتنكرت لنا بزيها الخداع، لا تستغرب إن أضحى الوطن فزاعة لأهله، لا تخشى شيء إلا ذاتك أنت، أنت الذي أوصلت وطنك إلى هذه الحافة من الدمار..

دائما في كل كارثة يسببها الإنسان بسبب جشعه وطمعه وشهواته التي لا تنتهي هناك ضحايا كثر، والأرض.. !

الأرض يرثها الأشرار لمواسم الدمار..

نحن قطوف دم وذل للكبار..

نحن من صنعنا الشر ومبيده الحشري وجلسنا خلف شاشات الموت نقود أروحانا حيث الهاوية، لم تكن هناك هاوية البتة، نحن الهاوية بحد ذاتها ونيرانها المتآكلة وكل ضحاياها الملتوية..

نحن وما أدراك من نحن..

نحن الذين نشق الأرض لأخراج الجحيم من تحت الصخور، ومن بعد ذلك ندعي أننا دعاة سلام بل دعاة سلاح وكوارث جمة، نحن يا سيد دعاة سلاح لنحمي شريرا أو كاذبا خداعا منتفخ البطن

والقامة ومنتصب الأنف والهامة، نحن من نروض ونروض أبنائنا على الصمت حتى تأتي على أعناقنا مداحل الموت تهرسنا وتغرسنا في بقايا القبور أسما وزرعا وشوكا..

نحن لا شأن لنا سوى أن نحصي أنفسنا ونخاطب ذواتنا بلغة الجمع والإحصاء والنفخ والنفش، نحن يا سيدي وما أدراك من نحن..

النار والوقود والحطب والرصاص والبارود نحن، لنا فوق رؤوسنا قرون كقرون إبليس الافتراضية، نغرس رؤوسنا في مؤخرة نملة وندعي بأننا فتحنا وطنا جديدا، وفي الحقيقة أننا اغتصبناه وأخذناه من أهله عنوة بحجة نشر السلام، والسلام وهو مسك الختام ولكن متى ذاك يا ترى.. !!

عندما تدفن الجماجم تحت التراب، ويسمى الغزو فتحا، والأيتام والنساء سبايا، والأرض والمال والنفط مغنما، وهلم جر نحن أعلم بها وبخدعها البصرية..

المجانين في عالم الورق والقلم والأسانيد القوية والضعيفة قد طيها عالم السوشيل ميديا، إنه عالم الزر وتحريك هذا العالم بمسحة إصبع، نعم بمسحة إصبع فقط وأنت جالس في أدغال إفريقيا يمكنك أن تنتقل إلى شرق أسيا، إنه عالم مجنون يريد أن يعيش في مساحة افتراضية صغيرة من أجل أن يشعر بالقوة..

ونحن في ذروة الضعف نحب دائما أن نأخذ دور الضحية من أجل أن نعلق عليها أخطائنا التي لا تنتهي:

ـ من أين أنت من سوريا !، طبعا أنا أسف على تطفلي.. !!

صمت الكيبورد عن الكتابة، صمت كل شيء عن الحركة، هناك أشياء تسير في خلاخل أنفاق الجلد، وحدها من تصنع لهذا الجمال جمال وجلال، ولكنها أو لعلها حالة من الغفوة والرقدة التي لا أحد يصحو منها إلا من بعد أن يقع هذا العالم على صاحبه.. !!

ماذا يجري !؟

لماذا لم تجيب إلى الآن !؟

معادلة ما قبل الشوق، إنه ليس شوق، بل إنه اكتشاف جديد في داخلك تريد أن تعرف ما هو، ما هويا ترى الذي يجرك نحوها !

ما الذي تريد أن تعرفه !؟

تعرفها مثلا، ألا ترى أن بينك وبينها فارق كبير في كل شيء، إنها ابنة القارات العابرة نحو هدفها ورقة كلامتها وإنسانيتها..

عفوا إنسانيتها !؟

نعم، ولما الغرابة !؟

هل هم يشعرون بنا يا ترى !؟، هل يعرفون ما حل بنا !، هل هم يصومون عن الطعام كم نفعله عنوة عنا !، هل هذه الطبقة تنام ليل أولا تنامه خوفا علينا !، لعلني أنا أحسن حالا من أبناء الخيام

التي كتب عليها برعاية عدة منظمات كمنظمة الأمم المتحدة أو منظمة الاتحاد الأوروبي أو منظمة اليونوسكو.. !

إنه الدم بحد ذاته، دم من نوع آخر تماما، نحن نعرفه جيدا، نشعر بماهيته تماما، يسير وينام ويأكل ويجوع ويتعرى ويتلوى ويتوجع معنا.. !

من نحن يا ترى !؟..

عليك أن تعرف من هم !، ثم تعال وتعرف علينا.. !!

عنواننا لا يخطأ أبدا، معروفين تماما، لا تقلق لا يوجد لدينا حرس كي يخافوا علينا، ولكن نحن مسيجون بالحرس خوفا منا، خوفا من لعنة الجوع والخنوع والضعف، فكلما جعنا وضعفنا وتعرينا زدنا قوة..

لن تعرف هذه المعادلة وبطنك منتفخ بالدجاج واللحم والأرز، بدك مئة سنة حتى تعرف ما معنى هذه الفلسفة، فعندما ترى شعبا قد استيقظ وفار على سيده فإن الجوع وصل إلى الحلقوم..

هل هناك جوع قد يصل إلى الحلقوم !؟

نعم في حالة واحدة، عندما تفقد كرامتك..

يا سيدي نحن قد وصل بنا الحل إلى أن مس شرفنا في وسط دارنا وقلنا لجلادنا برافو يا ريس دنته تحفة فريدة من نوعك.. !

ونحن تحفة فريدة من نوعنا تماما..

أناس بلا كرامة ولا شرف، كدجاجة منزوعة الرأس ومسحوب منها الجلد وتنتظر أن تلقى لكلاب الحقل، في بعض الأحيان أرى بأن الدجاج له كرامة وشرف أكثر منا، وفي بعض الأحيان أتمنى لو أكون دجاجة من أجل أن لا أشعر بشيء، ليس هناك أحد في هذا العالم يفهم لغة الدجاج أبدا، كنت أتمنى أن تأتي دجاجة لها شيء من العقل أوالفهم البشري كي تقول لنا بماذا يشعر الدجاج.. أتمنى لوكنت دجاجة لا تفهم ما يدور حولها كي تنجو من هذه الحياة القذرة، نحن نختلف جذريا عنهم هم..

لأنهم هم يهتمون بالتفاصيل الصغيرة، الصغيرة جدا، لم تعد التفاصيل الكبيرة تتعبهم، كيف سوف تتعبهم وعندهم سائق خاص وخادمة منزل ومربية أطفال وشركات ضخمة، إن التفاصيل الصغيرة التي أتحدث عنها خذ مثالا:

كحجر كريم أو ماسة صغيرة أو تحفة أثرية ترى بالمجهر..

نحن لنا تفاصيلنا الصغيرة أيضا، تفاصيل هم قد تخطوها تماما، تخطوا وجعنا بطريقة الجشع والطمع وعدم الإكتراث بنا أو بغيرنا، هم لا يفكرون ماذا سوف يتناولون غدا، هم يفكرون بشيء واحد فقط..

كيف سيقضون يومهم غدا، التهمهم الملل حتى أضحى عبارة عن أوراق رزنامة متراكمة فوق بعضها البعض ..

غفوت على تعبي..

وغفى كل من حولي من متعبون، مرهقون رغم كل هذه الكوارث الغير منطقية، معطلة الأجزاء الحركية للمنطق نفتش جحر نجاة كي ننجو..

صوت قريب يعرف الخارطة التي هربت إليها، بائع الخضار، وأصات أطفال أم طارق ينوون الذهاب إلى المدرسة، والنور لم يخرج بعد لأنك في بلد لم يعرف النور يوما، وإن عرفه فإنه يدق على جارتنا اللبنانية التي يعرف عدائها للسوريين..

وقفت أمام صاحب البناية وقالت له:

إن أجرت هؤلاء الجراء فإنني سوف أجعل ليلك نهارا ونهارك ليلا..

صاحب البناية في أذنيه ألف فلينة، كأنه لم يستمع إليها، إنها أحد العاهرات المعروفات في هذا الحي المتآكل بالدم الحرام، إنها لم تنم أبدا ولا تجعل أحد ينام..

صوت الطبلة والمزمار إلى آخر الحي، صوت الغناء والخلخال يهز الموت في الأحياء، أنثى مسحوب منها الحياء تماما، يصطف كل ليلة أمام بيتها تلك السيارات المرفهة التي كأن يحلم بها كل من أحب الدنيا وتمسك بها بصدق..

سيارات فخمة وزبائن من ماركة ممسوح من وجوههم الرحمة، وغضب في الملامح يهز الأرض ألف هزة، وكل هزة لها هزة، ولكن من سوف يهز الأرض تحت أقدام الطغاة يا ترى !؟..

إنها حكمته..

يرضى متى شاء ويغضب متى شاء !؟..

لا أحد يسأله وهو يسأل عن كل شيء، بيده مقاليد السماوات والأرض يحيي الأموات بأمره ويميت الأحياء بأمره، وأمره بين الكاف والنون يقول للشيء:

كن فيكون..

سبحانه ما أعظم شأنه، ونحن الأغبياء أبناء الأغبياء الملاحقين بالتعاسة وقلية الحيلة الذين نقشعر عندما نتذكر جمعة العائلة والترهات التي تحاك في جوفها..

بعد أعوام من الوجع عرفت بأن العائلة للأغبياء..

الوحيدون وحدهم من يصنعون لأنفسهم هالة كتلك الهالة التي لونها الخياليون حول رؤوس القساوسة والرهبان، نحن كذابون نصدق الخيال، والخيال والأحلام للنيام، وماذا لنا يا ترى !؟..

الوجع الذي لم نعد نطيقه، نشاك الشوكة ونقول إنها أجر، كأننا نتلذذ بالوجع، ونتغابى على أنفسانا، ولكن ليس هناك حمار كي يقول لنا:

يا أبناء الحمير حاولوا أن تنزعوا ذاك الشوك من تحت جلدكم.. ! جارتنا الكلبة ورعيلها وزبائنها من أبناء الحرام وصوت المزمار والطبلة وروائح الدخان والحشيش، وغفوة الخمور وغيرها من روائح لم نعد نميزها، والمتضامنين معها من أبناء الحرام من الجيران، أحضروا لأحد سكان البناية الشرطة، ولكن هل تعرف من أجل ماذا يا هذا !؟

من أجل أبنه الذي لم ينام الليل، بسبب التهاب رأيته، الشرطة تطوق المكان من أجل صوت طفل:

ـ ما تاخدوا على الدكتور يا خيي !؟

ـ ما معنا نكول خبز يا سيدي.. !!

ـ ومين جابرك تجي لعنا !؟

ـ الحرب يا سيدي !؟

ـ أنتوا بدكن ثورة..!

ـ نحن بدنا كرامة..

انهالت عليه عصي الدرك من كل حدب وصوب، وجعلت من جلده طبل للمشنفين آذانهم للظلم، العاهرة سوسو كانت تقف على النافذة، أسندة ثدييها على حافتها وقد بان لمعان جلدها وبريقه وسيجارتها أطول من لسانها، الله وحده أعلم ما الذي كانت تحشو تلك السجائر كي ترضى.. !

ولن ترضى عنك حتى لو أتبعت ملتها، أشك في ملتها، هذا إن كان لها ملة، إنها ملة الظلم، ملة من لا ملة له:

بصوتها المتحجر الذي تتأجج منه عفونة القبل القذرة:

- روحوا على بلدكن يلعن أبوكن عرص..

أنه أبونا العرص..

وأمها العاهرة..

ونحن ضحايا هذا الكوكب ومخلفاته القومية والفكرية والعقدية، نحن من بحاجة إلى صفة صمت وعام من النوم حداد على قلوبنا المؤصدة بالماضي..

جارانا الذي لم يتحمل رائحة كراهيتها، خرج عن طوره، خرج عن صمته، كنا بحاجة إلى ذاك الرجل كي يعيد لنا كرامتنا، كرامتنا فقط هي الوحيدة التي سوف تنجدنا من لعنة الصمت والسكتات القلبية:

- راح يجي يوم يوم نشخ عليك يا شرموطة..

كأن احد منا لطمها كف على وجهها وهدّ واجهة أسنانها وجعل من فمها شلالا من الدماء، جنّ جنونها في تلك اللحظة وأشتعل الحي بالزعران مدججين بالعص والأسلحة الخفيفة كالسكاكين..

عشرين دقيقة كانت كفيلة بأن تظهر هذا الكون على وجهه الحقيقي، أكثر من عشرين شاب دخلوا عليه، حطموا البوابة

وجعلوا منه جثة هامدة، الشرطة واقفة عن البوابة تشرب الشاي الساخن وتدخن السجائر نخبا على صوت الضحية، والضحية تصيح:

ـ يا جماعة، مشان الله، مشان محمد..

ما انتهت العشرين دقيقة حتى اختفى صوته..

خرجت زوجته تلطم بكل وجع هذا الكون:

ـ مات الزلمة، الله لا يوفقون..

الشرطة قد ألقت سجائرها أرضا، وقاموا بطحن أعقاب السجائر بأحذيتهم العسكرية، ودخلوا إلى البيت كي يحملوه إلى المشفى العسكري تحت ضبط قد كتب مسبقا:

وجدنا جثة رجل سوري في بيته ملقا على الأرض غارق بالدماء، والجاني فعل فعلته وفرّ هاربا، وأغلق المحضر تحت ضحية ميتة وجاني مجهول الهوية لم تتمكن الشرطة من الإمساك به.

من القاتل هنا يا ترى !؟

عاهرة الحي !، الشرطة !، شبان الحي.. !

إنه السيناريو ذاته الذي يتكرر في كل يوم، بل في أحياء مختلفة، من أجل ترحيل السوريين بطريقة مشروعة وممارسة الضغط الغير منطقي..

من المنطق أن نقف أ ونجلس أو ننام دهرا من الصمت على هذا الموت المقنن تحت أية مسمى كان، فأنت وكان فعل ماضي ناقص في بلد كل ما فيه ناقص وحتى الإنسانية فيه أضحت فزاعة لنا ولكم ولأهل هذا المكان..

ـ صباح الخير..

أي صباح وأي خير هذا الذي هب مع شتاء لبنان القارص يا آنسة المسافات المتجمدة، نحن من زمن الموت الكاذب الذي يسحبنا إليه وأنت من زمن الصمت الذي يجول في فمّ الحياة، إنها الحياة التي ركلتنا نحو الموت بكل ما أتيت من قوة، هي لا تريدنا أبدا..

هي تريدهم هم، هم أصحاب البطون الغارقة بالدهون والطعام الحرام، إنها تريدهم هم أبناء الحرام وأما نحن نحرف قبورنا بأيدنا حتى لا يكون لأحد له منّة علينا، وما علينا أن نطلب من كل صباح الخير..

هل صباح الخير دعوة مثلا نطلبها من الصباح لا من الله..

ـ صباح الخير آنستي..

كأنها هي الصباح وهي الخير، وأنا الذي انتظر تحت أشعة الظلام بزوغ النور، هل أضحت بداية علاقتي بها قرب غلى هذا الحد يا ترى!؟..

يا ترى ومن يدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا..

ـ آسف يوم أمس لقد سقطت نائمة ولم أنتبه للرسائل التي دارت بيننا..

لم يقل لي منذ أن خرجت من وطني : آسف..

نظلم ونذبح ونهجر ويهدم بيتنا وننتشر في الأرض كالجراد المذبوح ويغلق علينا في سجون حديدية أوخيم لا تقوى على هبوب ريح أو أشعة شمس ونساق كالنعاج البلهاء ثم نقول لذباحنا:

آسف..

إنها الموازين المقلوبة التي جعلت من المقامات هفوات جهنمية نشكر من ألقانا بها ولو قصدا، كل هذا العالم وفي هذه اللحظة بالذات متربص بنا، فالفريق معروف واللاعبين مشهورين والضحية نحن وأحلامنا البائسة التي أضحت رمادا تحت قنبلة أتت من بلاد الروس..

تحت عين الطائرات المجهرية تحدد المسافات بين قنابلهم وبين ما كنا نسعى إليه من أمل، والأمل يسابق الهواء بين درجة حرارة الصواريخ والهدف البائد الذي سوف يحصد نوما على كتف أحد الضباط الذي سيطلق عليه ضابطا شريفا، وشرفنا ممزق بلحمه وعظمه قد فارق الحياة مع أبنائه الجياع، لم تنام تلك الأم المفجوعة بجوع أبنائها، تدق أبواب الجيران:

مساء الخير يا جارة.. !!

من خلف الباب يزاح اللثام، تخاف أن يكشف شعرة من رأسها، لأن رأس المرأة عورة والوطن ابن شرموطة يلعن أبوه على أبو ترابو، تخبأ الجارة في بطن بيتها طحينا وزيتا ولحما، أبنائها ناموا

شبعانين البطن والضمير في محل رفع فاعل، والفاعل راعفا يديه في المسجد أوفي الكنسية يدعوا الله أن ينصر هذه الأمة والأمة تتابع برنامج أجمل حنجرة عربية، والحناجر العربية كشف عنها ما كانت تخبأه، حناجر عفنة مدسوس بها العفن، حناجر مغلولة مشبعة بالكذب والعتب والسعال والقرف:

أهلين يا جارة..

لم يعد لنا جارا سوى الله، الله الذي يدقق في تفاصيل اللعبة التي تجرف هذا الوطن إلى الهاوية، حتى أضحى الوطن حاوية بحد ذاته هاوية، لم تعد هناك لافتات مكتوب عليها:

سوريا ترحب بكم..

أهلا وسهلا بكم في وطنكم..

قلبت الموازين حتى أشبعت بالوحل والدم والخبز المشبع بأتربة الدبابات القادمة من جنود السواد، الآن سوف تشاهد بأم عينك الوطن بمشاهده التي تقول:

أهلا وسهلا بكم في الهاوية..

تفضلي يا جارة..

شكرا يا جارة، الأولاد قتلهم الجوع، لو عندكم كسرة خبز أسد بهم جوعهم..

إنها الأبواب التي يقف خلفها الضباب، إنه الأعتاب التي خلقت للذل، ونحن نقيس صدى زنين الموت سد آذاننا للصوت الذي يعبر هواء الوطن ويخترق جدران الأمل ويجعل منها ركاما للزمان القادم، كأن هذا المشهد يقول للناس:

إياكم وأن تخرجوا للموت، إياكم وأن تطالبوا بالحياة..

من أجل أن تعرف بأن الموطن هنا يعيش في حياة برزخية بين الحياة الموت، فلا تفصيل هنا ولا مناداة أبدا، عليك أن تقف مكانك حتى يحالفك الحظ:

والله يا جارة ما عندي لقمة خبز..

انتبه على حلف اليمين، يمين مغلظ باسم الله وعظمته، أنثى تستر نفسها من مخافة الله ولسانها طوله كطول سور الصين العظيم، والعظيم يراقب ما يدور من حوار بين الجوع والشبع، بين الخوف والطمع، إنه جشع من إطار رفيع المستوى، هنا تسوى الأرض بين الناس عندما يغلق الباب في وجه أم الجياع، أين تذهب، وباب من تطرق، باب الله مغلق تماما هناك حشود كثير من الأرواح الصاعدة بسبب الحرب والموت..

تفرك يديها المتجمدة، إنها نسيت أنها جائعة أيضا، تبكي بحرقة لأنها لم تجد لقمة خبز، الجارة تغلق الباب وتقول في صدرها:

الناس بطلت تستحي..

ولكن الله يستحي من أنا يرفع مؤمن يديه إلى السماء ويردها خائبة، علمها أن تستر رأسها ولكن لم تتعلم آداب الحديث والصدق بينها وبينا أهل الإيمان، لأن الإيمان هنا عبارة عن شكل وقناع ومعقود بالقانون السماوي الذي يقول:

وتلك الأيام نداولها بين الناس..

والناس في دوامة الخوف يلتحفون الملاجئ خوف على أرواحهم وإيمانهم كذبة قد ذاب عنه التعب وبان كأنه زيت مغشوش يتطاير فوقه الذباب، كنت أتسائل قبل أن يغير القدر مساره من أمن إلى حرب، كيف كانت بيوت الله تغص بالمؤمنين.. !!

هل كانوا كذابين !؟

كذابين من نوع فاخر مثلا، كذبة فوق كذبة من أجل أن يبنوا حولهم سور التقوى ويخدعوا به أتباعهم مثلا، أتباع ومتبع ومتبوع له وكلهم كذابين..

ضحية تلك الجارة كانت أن ترحل إلى بيتها:

ماما .. هل وجدت لنا ما نأكله..

عصفت الطائرات فوق الوطن، وكان هناك قاسما مشترك بين الموت والعلو والطائرات، تحمل تحت مخالبها قنابل شر تحطم حي وتدفن قوم وتجعل من الحقول رمادا، يهرب الناس إلى مخابئهم خوفا من الخوف، وتهطل على الأحياء راجمات أتي بها

من عالم العيون الملونة والشعور الشقراء، وتزيح جشع العظام ويبان مخيخها كي تبتسم لنا السماء..

ـ لا داعي للاعتذار أبدا..

لغة الاعتذار وما لف من لفيفها من نفاق بائن وربما غير بائن، إنه الغبن بعين ذاته، ونحن مجرد ذوات ننتظر أن يرمم ذاك الشرخ المكنون في غياهيب الذات والنزعة الحيوانية..

يا من ترى من يعتذر لنا عن كل هذه المأساة التي حلت بالبشرية، من يعتذر للأموات عن أرواحهم التي ذهبت ظلما وعدوانا غير بحق، تتساءل في بعض الأحيان تلك المسافات المتشردقة بالاستفهامات من يعتذر للأعضاء المبتورة والجماجم المهروسة والأجساد المتآكلة تحت التراب من ظلم البشر لبعضهم البعض..

هل كلمة آسف تكفي أو لعلها تفي بما فقده الطرف الآخر من خسائر في الأرواح والأموال !؟

ـ لا داعي للاعتذار آنستي.. !!

الصمت في حضرة الجمال عبادة، ولكن من نعبد الآن نحن !، نحن نعبد أنفسنا وشهواتنا ومآربنا وتفاصيل ولدت بالفطرة معنا وتربينا عليها حتى أضحت سجية وأحد أهم مقتنياتنا القذرة، إنها قمامة الماضي وتجارب لم تعد تنفع في عصرنا هذا وإضاعة للوقت والجهد والكوادر العقلية والجسدية..

أنني أنترها كي تنطق بكلمة، أريد أن أذهب إلى العمل، أريد أن لا أتأخر على شيء وأهم شيء هيّ !!، ومن تكون هي يا ترى ؟.

لا أعلم، ولكن الذي أعلمه بأن الكتابة جارية:

ـ نتحدث في المساء صديقي..

هل بالفعل أصبحت صديقا لها يا ترى !، أم أنه الهذيان الصباحي والسكرة التي تهبط على عقل العمال الصباحيين في وطن الأرز الشقيق، لا أشقاء هنا في مواطن الذئاب الشرهة التي شرحتنا على مذبح التاريخ الدموي، إنها أرض الدماء التي لم تجف ولن تجف، رقعة فيها من الحضارات والتجارب الإنسانية ما يجعلك تجن في متاهات تاريخنا الدموي، يجب علينا أن نعترف بأننا دمويين لدرجة الحماقة، منذ آلاف السنين وعقولنا ومشاعرنا وكل ما نملك مكتوب عليها:

هذه الطاقات البشرية لبيع..

كلّ شيء نسلم به من غير أن نعود إلى عقولنا ونتمعن بما يجري حولنا من مؤامرات ضد إنسانيتنا، فتعال معي إلى أيّ زقاق في أحيائنا العامرة بالفقر، طاقات عقلية جبارة مكسدة في جدران البيوت المترهلة بالانهيار الوشيك، ومن يسأل عنا إووقعت هذه الجدران علينا !؟

راس مالنا هو خبر صغير في أحد الصحف الوطنية وبعد ذلك عظم الله أجرنا، والمواطن يلعن أبوه، ضحية لكل زريبة بيع تقيمها الحكومات الدكتاتورية على حساب هذه الفصيلة التعيسة..

ـ حسنا سيكون هذا جيد، وأنا أيضا ذاهبا إلى العمل..

إنه حلم الفتوة يا فتى، حلم صغير جدا، كتلك الحقيبة التي كنت أحلم بها، أوراقي واختراعاتي الإلكترونية إلى مكتبي الصغير الذي يقع في أحياء المتاجر الإلكترونية..

وأسير بسيارتي المتواضعة حيث أريد، والآن.. !!

الآن يجب عليك أن ترتدي ملابس الرمل والطين والجص و، تلك الثياب الشريفة التي تشرفّ آلاف مؤلفة من أصحاب ربطات العنق وأصحاب الحسابات الموهومة في بنوك المافيات..

أحمل تعب شرفك على عاتقك وسر حيث ضميرك الصافي، فالصفاء هنا متعب جدا، وفي خواته عتق من تعذيب الضمير..

هناك ضمائر وللهد الحمد لم تعد تشعر بشيء من الشبع والبطر وأكل مال الحرام، هناك ضمائر لا زالت يقظة ولكنها تأكل الأخضر واليابس من تحت الطاولات ودعني أقول لك بأن هذه الضمائر بالذات لا تنام الليل إلا بمسكنات وحبوب مهدئة، وهناك ضمائر محشوة بالسم القاتم ملوثة حد الغثيان، تراها مكشوفة في العلن تتعاطى المحظورات كي تسكن وتركن إلى ركن حصين..

هذه الضمائر لن تستمر إلا بموت غريب جدا، مثلا كأن يقتل صاحب الضمير نفسه بطلقة نارية أو شنقا أو يلقي بنفسه من علو

شاهق، على بنيان أنه يريد أن يرتاح، الموت في الطرف الآخر ينتظره..

ينتظر قدومه من زمن قريب، منذ أن أقترف أول خطأ وتلافى ضميره الذي كان يطرق باب قلبه منذ زمن بعيد، بهمس المذنبين يأتيه، يحبو على عواطفه الناعمة الطرية على مهل، يدغدغ محاسن براءته بنبرة الأمومة:

يا صاح، أنا هنا، أنا ضميرك، هل تسمعني.. !

الصاح معفر بغبار الذنب من أول ذنب أقترفه بحق غيره وحق نفسه، إنه متلذذ بدماء الندامة لأن الندامة لم تعد تريده تريد الصاح الصافي ذاك، صاحب الروح المفعمة بالنقاء..

ـ حسنا وأنا أيضا ذاهبة إلى العمل..

نحن الآن نكتش أشياء نريد أن نعرفها لا محالة، أقصد بهذه الأشياء هو تطفل الحب، الحب الداكن الراكد على جداول الذات يريد أن يكتشف الطرف الآخر، لعلها صادقة عابرة، انت وحدك من تحدد تلك العلاقة، هل أنت تريد أن تكون عابرة ولتكن..

لعلك جبان يا فتى.. !

العلاقات الجبارة الصادقة لا تحتاج إلى الجبناء، الجبناء مكانهم الصحراء القاحلة، تذرهم الرياح مع الرمال الملساء، وتأخذ بهم

مع تموج الكثبان حتى يغرقوا ويغرقوا أنفسهم، كلنا يختار طريقه حيث ذاك المارد اللا مرئي المحشو في ذواتنا الهشة..

إنها علاقات كقوة قشة، إنها علامات قبل دخول المعركة، حيث يظهر بها قوة الفارس من أول خطوة من أول كلمة من أول قبلة، هناك علاقات كدوامة القرف تماما مشابكة كخيوط العنكبوت ولكن هناك خيطا واحدا قوي جدا، ترى هذه العلاقة كجرن عفن ينعث بها الغبار والأتربة ويتأجج من فوهتها الدخان..

كل الحق على أصحاب العلاقة، أي على الطرفين تماما، أنهم أقوياء لأعلى نسبة من الضعف، يجب أن تنتهي هذه العلاقات الموهومة التي تجلب لجميع الأطراف المرض، يا صديقي أذهب وعيش حياتك، لماذا تريد أن تربط قلبك وعواطفك بطرف مريض، إنه السم بعينه، والبوابة التي تريد أن تقول له:

هذا قلبي لك ومرضك وعاهاتك وتقلباتك النفسية وجنونك وكل أذية تقدمها لي هي لي..

بالمختصر : تهانينا لك على هذا الجنون يا ابن المجنونة.

ابن المجنونة لن يسمعك ولن يسمع نصائحك يا حلو القلب والمنطق، اذهب وأذن في مسجد غير هذا المسجد ..

أن تحدد مسار عواطفك..

هذا يعني بأنك حددت نصف مسار حياتك، إنه الحب وحده الذي يبني بيوتا لا عماد لها، والكره يهدم دور العز والنسب، أختار ما يدليه عليك قلبك ودع الموت لأهل الموت، أركب باص الأجرة حيث معمل الإسمنت، يقللني من أول موقف إلى عاشر موقف، إن الموقف الوحيد الذي أريده أن اعرف ماذا أريد بالتحديد، التركيز في هذا اليوم مشتت فعلا، إنه في محل شعر أنثى لأجلها خلق الشعر..

المواقف العشر في الشوارع الغريبة الأطوار تسألني، وتتحرش بقلبي تارة وتارة تريد أن تؤكد تلك الإرادة، سوف تتأكد تماما أنك قد فقدت عقلك عندما يسر بك الباص إلى موقف ليس بموقفك..!!

ـ أرجوك نزلني على اليمين..

لم يعد اليسار يوازيك مسكنا وفكرا وهيبة..

أضحى اليسار في زمن الماديات عبارة عن فزاعة وتهمة تلقى على صاحبها، عليك أن تفتش عن قبلة المجتمع يراضه، ولن يرضى عنك المجتمع حتى لو اتبعت ملته، وكل يوم تسأل نفسك ما هو قانون هذا المجتمع وملته.. !

الطمع، الجشع، المال، المصلحة، الكراهية، الانتقام، الجنس، القاذورات، الأنانية، الاستيلاء، السرقة، النهب، جمع الثروات، حب الذات..

وأنت غارق في ضحايا هذه التيارات الخارقة لقوانين الإنسانية ودساتير السماء، لا تعرف ما هو المصنف الذي يجب عليك فتحه، كل القضايا أضحت كذبة أمامك، كل الثرثارين أضحوا قادة أو تماثيل في شوارع الوطن، كل الكاذبين لهم جحورهم التي يملؤون بها بطونهم وحساباتهم، وأنت لا زلت تسير إلى تلك المقبرة..

جبان أمام هذه الأمواج العاصفة بالفساد، في الحقيقة لا أنت ولا أنا قادرين على إيقاف هذا المدّ الجارف، حاول أن تقف على قدميك أو أن تتمسك بجذع ضمير حي أو ببقايا صخرية مبدأ لا يضل ولا يشقى، ولا تكن ذاك الذي يحمل همّ من يشقى من أجل أن تعيش بنعيم غيرك..

فلسفة الأنانية..

إنها معلقة بحب النفس، بحب ما تراه في أفواه غيرك، وأنت تعلم حق اليقين بأن شبعان، ولكن الشره ولعاب الجشع يسيل ويسيل مع كل دقة ضمير..

ماذا تريد الآن !؟

أريد أن أخذ الباص كي يعيدني إلى موقف المعمل، لقد شدني الشرود وسار بي حيث لا أعلم..

ها ها ها..

أنت تعلم كل شيء ولكنها سكرة بدايات الحب. !

هل أتوقف يا ترى.. !

لا بل راقب حالك الآن، أنت بحاجة إلى قليل من الواقعية في كل تفاصيل حياتك كي تحيا من جديد، إنها تعيش في واشنطن وأنت في قرية لبنانية كنت لا تعرف أسمها، ولو نظر أحدهم إلى الخارطة يريدها فعلى الأكيد بأنه لن يكترث لها..

إنها القرية المشهورة بالراقصة الدلوعة : سوسو..

فبعد إذن سوسو أريد أن أكمل الحديث معك ومع الذات المتلاطمة بك، فقط أريد أن أقول لك:

أصحى يا أستاذ.. !!

خمسة عشر دقيقة تأخرت عن معمل الإسمنت، يقف ذاك الجشع على البوابة:

ـ شويا خيي، ليش متأخر.. !!

أنت تعرف بأنها هذه المرة الأولى التي تتأخر بها، ولكن هل ستقول له بأن الحب هو الذي أخرك !، لم تعتد على الكذب يوما ولم تعلمك والدتك حكاية ليلى والذئب، ولكنك بالفعل لم يبقى ليلى

في واقعك إلا وتبخرت إما بسبب الحرب أو بسبب كارثة بيئية، هم الذئاب وأنت أرنب الحقل تبحث عن شق حنان أو جزر خارج سرب التراب مخافة أكل لحم الحرام.. !!

معتوه، هيا عليك أن تقول له بأنك تعرفت على أحد الفتيات على الفيسبوك، ومن بعد ذلك سوف يتفل في وجهك ويشتمك بالمقولة المشهورة : يلعن أبوك..

المقولة المعروفة والمتداولة في الأواسط السورية..

ـ لقد غفوت في الباص، وأخذني بعد موقف المعمل بموقفين، وهذه أول مرة أتأخر على العمل، سامحني..

لم يعجبه الكلام، هذا الفصيل من البشر لم يتجرعوا كبسولات الحنان في بيوتهم، خلقوا وحوشا على هيئة بشر، قساة بسبب ما جناه تاريخهم الدموي، الناجي منهم قد فر هربا خارج البلاد أو أنه نجى من المحيط بمعجزة ربانية:

ـ راح سامحك هالمرة، بس أسمع يا حمار، إذا بتتأخر مرة تانية راح كبك بالشارع..

إنه رنين الإهانة في بلاد الإهانة، تبتلع رقيك وتتماسك أعصابك كي لا تشبعه موتا، وأنت تعتقد بأنك من الأموات فلم تعد تهم الإهانة هنا، بالمختصر أنت الآن حمار ينقصك ذيل وأذنان طويلان وتنتهي قضية الاستنساخ البشري من بشر إلى حيوان..

لملم عوقك ولعاب ريقك واذهب إلى عملك بصمت يا حمار، ولكن قبل أن تشرع بالذهاب يجب أن تطيع بالإجابة الخانقة:

ـ حاضر، أعدك بأنني لن أتأخر..

هذه الحياة التي كنت تحلم بها، قلت لك ألف مرة بأن الأحلام للنيام، أصحى من غفوتك وعليك أن تختار وجهتك حيث النور والحرية، هذه بلد علي بابا وأربعين حرامي، الشريف هنا مكسور الجناحان ومنخفض الرأس يجر هزائمه حيث العتب والتعب من وطن صار ينكره وينكر ما به من شجر أرز، ولكن يا فتى مع أول هبوب حب أنت قوي جدا، لدرجة أن لم تعد تتأثر بالإهانة أبدا، هل الحب سيطر عليك وسحب منك مشاعر الإهانة والكلام القذر.. !!

أنت تبتسم، هذه أول مرة تبتسم، تشعر بأنك تحب شيئا لا تعرفه بعد، ولا تعرف شعوره تجاهك، ولكنك تبتسم وتزداد ابتسامتك، تلقي كلام هذا الأخرق العفن خلف ظهرك وتمشي وثق الخطوة ملاكا..

أنت الآن في تعداد الملائكيين، تسير حيث الإسمنت الأخضر والجص الأبيض، ذاك الرذاذ الدقيق الذي يصهر مع الماء ومن ثمّ بعد ذلك ينقلب إلى مخلوق متجمد متحجر لا يستوعب شيئا سوى الضرب بالمطرقة ليعود إلى أصله وفصله الأساسي..

بعد دوامة من البحث وجدت نفسك كهذا الإسمنت والجص، أنت بحاجة إلى عامل حنون غير تدفق الماء كي لا تصبح جمادا، ربما تكون أحد أعمدة بيت أو سطح أو سياج أهله ضباع وأنت ذاك الرذاذ الحنون الذي أرهق قلبه وهو يبحث عن مكون يشابه رقته..

لا تبحث يا صديقي عن ذاك المكون الخيالي، كلنا رذاذ ناعم ولكن الحياة تعجننا بقسوتها وقسوة من حولنا وتغرنا بمائها حتى تكون منا حجارة من سجيل نرمي بعضنا بعضا من أجل البقاء، وبعد فترة من الجنون والقسوة تقول لنا:

إلى اللقاء .

لا وداع مع الألم..

الوداع الوحيد هو أن تودع هذه الحياة ولكن من بعد أن تنهش من لحملك وتلقي بك عظما، هنا أقول:

سلاما للذين أفناهم التراب وجعل مهم هباء منثورا..

منثورا أنا على بقعة وطن ليس لي، مبعثرا حتى الصدى، ولكن صدى من غير رنين ولا أنين، أختنق بصمت هذا الكون ودورانه المرعب..

ما عاد الموت ولا رعب يخيفنا، الآن أضحينا نسير إليه حفاة عراة حاملين إليه ورودا، ونعم الاستقبال هو ونعم الضيف نحن، ولكن ضيوف من غير كرامة ولا شرف، منكسرين الرأس أينما أتجهنا وحتى قبلتنا لم تعد تعترف بنا لأننا قساة القلوب والأرواح والأجساد المنهوشة، لا فرق بين تلك التفاصيل الصغيرة في ذاك المكنون والمخلوق الغريب ألا وهو بني البشر، إنه المخلوق الذي حير نفسه بنفسه من ارتباط التعقيدات والمسالك الخالية من الرحمة..

ولأننا لا زال فينا شيئا صنعناه يدعى الأمل..

لا زالت فيروز تغني:

آيه في أمل..

إنني أراه بين رذاذ الجص والإسمنت، يتمايل مع أكياسه المحشوة بالطمع والجشع، تلك الأكياس التي كنا نبيعها في وطننا أقل من سعره بربع ونيف، والآن يباع بأكثر من سعره بأربع أرباع، من أجل ماذا يا ترى.. !!

لقد ضربت المعامل في سوريا، ويا مواطن دبر راسك..

وهنا يبدأ مسلسل الاحتكار المقنن تحت أسماء عدة ومسميات لا تخطر على عقل شيطان..

لم أعد أؤمن بالشياطين من بعد أن رأت عيني ما يفعله أبناء البشر، إن الشيطان هو حالة خرافية خلقه البشر من أجل أن يضعوا أخطائهم عليه، فنحن ولله الحمد بارعون في صنع العلاقات والكماشات والنجاة من تلوثنا الفكري والعقدي، فالمساحة لاختراع الأوهام والأحلام كافية..

هم أخذوا منا الواقع ومشتقاته، وأعطونا الأحلام والعالم الافتراضي وأنواعه، هم لصوص ليس لهم ضمير، ونحن ضمائرنا تنزف وتأن وتتألم وتريد الخلاص ولكن كيف يا ترى..!!

البوابة الوحيدة هو الهروب من الواقع إلى حلم صغير بأن يكون عندك ما عندهم من نعيم، ولو نقبت عن ما عندهم لوجدته قد أتى نهبا وسرقة، هل تعرف لماذا !؟

طبعا لا تريد أن تعرف..

حقك الطبيعي أنك لا تريد أن تعرف، فأنا لا ألومك أبدا، ولكن ألوم الوقت الذي أهدرته في سبيل أن أصيل لك فكرة ربما هذا العالم هو بحاجة إليها، عندكم عقد من الأفكار الزائدة، عندكم مساحة مغلقة بسبب الأفكار القديمة المتراكمة الدموية التي لا تريدون الاعتراف بها، لا مجال لديكم للتنقيب في أفكاركم لأن الخوف قد أطاح بكم، والمصيبة العظيمة بأن هذه الأفكار والخزعبلات تلقنونها للأجيال وكأنها هي النجاة الوحيدة من لعنة الدنيا والأخرة..

الأخرة ليست بحاجة إلى كل هذه الأوهام، الأخرة بحاجة إلى الصدق في المنطق والعقل وتجديد المسار إلى الإعمار ونشر السلام للجميع، ألم تروا أن الجميع أصبح يكرهكم !، هل تعرفون لماذا ؟

لأنكم جبناء في كل تفاصيل خطواتكم الغير مدروسة، بل المبنية على الوهم والجهل، لم يعد أحد يثق بكم ولا حتى أبنائكم والأجيال التي ترضعونها نبيذكم المحلل.. !!

نبيذ مغشوش مكتوب عليه : مذبوح بالحلال..

حلالكم حراما وحرامكم حلالا، عافتكم الأمم حتى أضحت حكاياتكم التي لا تصدق قصص وروايات في مستشفيات ودور

المجانين، أي جنون هذا الذي يقود التافهين من أمثال الأمم السفلة بأن يجعلوا منكم هدفا لبصقة في وجوه أكبر شريف منكم..

تبا ما هذا القرف..

إنه قرف المعامل والاحتكار الزائد على المواطن، وعلى فكرة هنا لا أحد يرحم أحد، القانون للفرد وليس لمجلس النواب وكذب وزعيق ونهيق أعضاء البرلمان، يا حبيبي هنا الساسة عبارة عن أحجار شطرنج..

والخارطة لمن تحبه الدولة المجاورة التي نقول عنها دولة الاحتلال، في قانون هذا الكون المحتل الذي لا يحترم إنسانا ولا وطنا وقضية، ولكن يجب عليك أن تحدد ما هذه القضية فربما تكون كقضايانا المهترئة التي بال عليها وعلينا الزمان والأمم المتناحرة على نفطنا ومقدراتنا الوطنية..

نحن لا نستحق هذا الوطن..

إنها الصراحة المطلقة من أجل أن تطلق قضيتك طلاقا بائن، بائن ومن غير عودة، وعليك أن تعود إلى فطرة العقل السليمة التي فطر الناس عليها، وتختار طريقا عقلانيا منطقيا حتى تصل إلى كلمة وحدة ألا وهي:

هذا الشخص يبحث عن وطن..

قضية احترام القطعة الترابية التي نمى بها الإنسان عليها قضية متشابكة محضة وبحاجة إلى تروي في كل الاتجاهات، الاحترام يا باشا..

مسلوبة لدى الجميع، مسلوب منهم الإنصات غلى الطرف الأخر، الطرف الذي يتكبد الكثير من الخسائر، الطرف الذي نحن بحاجة له لا هو، هذا الطرف الصامت الذي يدعى وطن..

في الحقيقة لم يعد لنا وطن منذ أن قلة هيبة المواطن وأضحت قلة الاحترام علامة لنا، السب والشتم وأصحاب اللسان الطويل يتصدرون المواقع الإلكترونية، وفي النهاية نسميهم ناشطين.. !! جنون أليس كذلك..

ولكن الجنون عندما أتاني ذاك الوحش ببطنه المتدلي:

ـ اليوم تأخرت، سوف تعمل ساعة زيادة.. !!

لا تستطيع أن تقول له كلا، بكل ما أتي الذل من ذل:

ـ بأمرك يا باشا!! ..

من أنتم !؟

نحن ذاك المخاط والمخاض الصعب الكاذب الذي يلمع الجاني حتى يصبح أحد السادة وبعد ذلك نقيم عليه ثورة من أجل أن نستعيد حقنا، هل رأيت هذا الجنون يا حبيب.. !!

نعطي ثم نريد أن نأخذ، نحن من أخرجناه من القمامة ورممناه ولمعناه وأبرزناه خلف زجاج حامي للرصاص، حشدنا الأجيال لإبقائه وها نحن ذا..

هنا نحن نهتف له بالروح والدم..

وفعلا كما ترى لم يبقي لنا روحا ولا دما، في طاحونة الوطن وضعنا وبدأ يهرس بنا ويطحن عظامنا حتى جعلنا طحينا للقبور والدود..

أربعين سنة والضمائر اليقظة تهتف فينا:

أصحوا يا مدودين..

يمكنك أن تسحق دودة في غضون ثواني، يمكنك أن تفعل ما تشاء خلال أجزاء من الثواني، ولكن هناك جيش من الدود ينتظرك مدى الحياة ..

ها هو الباب يفتح لي من جديد..

أنا العامل الوحيد الذي أنهى عمله في وقت متأخر، فقط لأنني كنت أفكر في الحب مليا، مليا كان بي عندما كنت أفكر به، ولكن ليس كل ما تفكر به سيكون، لعل ما تفكر به سيكون جحيما سيحرقك ويحرق من حولك..

لا شمس هنا تشرق ولا قمر يضيء لي ما تبقى من الدرب، كنت أفكر كثير بهاتفي المحمول، أريد أن أتجسس على بصيص أمل من حب..

إنه شيء يجتاحني على حين غرة، يرفعني ويلقي بي من علو باص على أحد المواقف، كنت رثّ الهيئة كأنني فزاعة تكاد أن تحترق، ولكن ها أنا ذا هنا:

ـ مساء الخير..

لم يكن مساء هنا ولا كان هنا خير .. في الحقيقة أنت المسا وأنت الخير، وأنا ذاك الضائع في مخيلته التي يهرب إليها كلما أشتد مخاض هذا الوطن:

ـ مساء الخير .. كنت متوقع أنت تكتبي لي.. !!

لعلها غلطة بل غفوة بل لهفة، لا يهم ماذا تعني في حضرة السعادة التي تغمر قلبي، هل فعلا أخطأت يا ترى في تسرعي بالكتابة !، إنه القلب يكتب ما يراه صائبا ما يرسمه لمستقبل ربما ليس ببعيد:

ـ وما أدراك بأني سوف أكتب لك !؟

تبدلت حالتي وسال العرق من جبيني وأحمر وجهي وصمت عن الكتابة، إنها قمة الإحراج:

ـ هل أنت هنا !؟..

في الحقيقة لقد تمنيت لو أني لست هنا، ماذا تراني فاعلا بسؤال لم أعتقد أن يطرح في هذا الوقت من الزمن الغير مرغوب به بالحديث: !!

ـ لأنني صديق جديد.. !!

أعرف أنني أحمق، ولا أعرف الإجابة ولا أعرف التحدث مع الفتيات، ولعلها أول مرة أدخل بها في مراوغة وضربات ركنية لم تكن بالحسبان:

ـ كل يوم أستقبل أكثر من أربعة أو خمسة أصدقاء.. !!

كدت أن أقول لها بل أنا حبيب.. !!

ـ أنا أسف..

هكذا ومن غير أية مقدمات أرسلت صاحب الوجه الأصفر وهو يبتسم، وإن دل فإنما يدل على الرضى:

ـ حسنا لا عليك..

كنت أمشي في الشوارع والمطر يهطل، كنت متجمد غلى درجة أنني لم أعد أشعر بالبرد، تحت أحد المحال التجارية وفي مضلتها

الكبيرة تربعت كأنني ذاك الطفل الذي وجد حبل نجاة من هذا المحيط الذي لا شواطئ له..

هل وجدت شاطئا يا ترى كي أنجو من هذا العالم..

دعني أكتب رسالة صغيرة بقدر فرحتي هذه للقديس مارك:

شكرا..

لا داعي لتقول لي لماذا هذا الشكر.. !!

ستعرف لاحقا..

كنت كل يوم أجلس لساعت طوال أتحدث معها، أتكلم مع العمق الروحي الذي أنجدي من جفاف هذا العالم المترهل بالكذب، لم تسألني أية سؤال شخصي، ولكن كنت اعتقد بأنها كانت تريد أن تكتشف قدراتي العقيلة، وذكائي، أعترف بأن خجلي جعلني غبيا إلى درجة أنها كانت تكتشفني في كل مأزق كان وعندما تسد في وجهي منافذ أية حوار كانت تكتب لي:

ـ لا عليك..

ربما أكثر شيء عرفته بي هو خجلي، ولكنها كانت قوية وملبس بها وشاح الأدب، إنه ذكاء الجمال المكسو بالكمال، أنني بدأت أكتشف نفسي من خلالها ومن خلال رشقها للتفاصيل الصغيرة نحو ملعبي..

لا ملعب لي غيرها كان آن ذاك هي الكرة واللاعبين والحراس والهدف وأنا الكرة المتدحرجة بين السين والتسويف والأماني المشبعة بالأحلام الوردية:

ـ ماذا تعمل !؟

كانت ضربة قاسية، كنت أتألم من ها السؤال الذي كنت أتوقعه في أية لحظة، أنا لا أستحي أبدا من عملي ولا من ثقافة أهل ولا من الوسط الاجتماعي الذي ترعرعت به، ولا حتى من الحياة ولا من الموت، أنا فقط أستحيي منها ومن ذكائها وجمالها وشق شفتيها وشفير رموشها وكحلها الخفيف الممتد على حواف جفنيها، صورتها تقتلني حياء وكلماتها تهزني وتعصف بي، وكم كنت أتمنى أن أستمع إلى صوتها، إنه الشهر السابع من الكر والفر والذوبان في أنثى المحلول بالأمان:

ـ في الحقيقة أنا أعمل في معمل للإسمنت والجص.. !

كنت أعتقد بأنها لن تكتب مجددا، كنت اعتقد بأنها هذه هيّ النهاية تماما، كنت أفكر كثيرا كيف سيكون الفراق، كنت ويا ليتني لم أكون ولكنني بادرت كاتبا لها في حين غرة:

ـ لا تعتقدي بأنني أعمل محاسبا أو مستشارا في هذا المعمل!!

كانت تكتب، وكنت أسقط، كانت تجري، وكنت أحلق، كنا في تلك الدوامة التي سنتعرف عليها من جديد:

ـ إذا ماذا تفعل في هذا المعمل.. !!

هنا كنت قويا جدا، غير مدركا لما سيجري بيننا، أوبين هذه العلاقة الوهمية:

ـ أنا عاملا بسيطا جدا، أحمل كل يوم أكثر من ثلاث مئة كيس من الإسمنت على ظهري إلى السيارات الكبيرة، من أجل شيء واحد فقط، ألا وهومن أجل أن لا أمد يدي لأحد، وعلى فكرة في عنقي مصروف أبي وأمي الذي أرسله كل شهر إلى دمشق، وراتبي يكاد لا يكفيني إلى نهاية الشهر، ويعلم الله بأنني لم أذق اللحم والدجاج منذ أن دخلت لبنان الشقيق، وأخيرا وليس آخرا، أنا لا أكتب لك الآن من أجل أن أثير شفقتك عليّ فأنا رجل عزيز النفس لا أقبل الشفقة من أحد، ولكن دعيني أعبر عن الشيء الذي في داخلي ألا وهو أنني في قمة السعادة عندما أتحدث معك، هذا الشعور الوحيد الذي يشعرني بالأمان منذ أن بدأت أحادث الوطن، يمكنك الآن أن تقرري وتحولي محور هذه الصداقة، وأنا ليس خجول أبدا بهذا الاعتراف الصغير، أنا تخرجت من الجامعة بدرجة امتياز وها أنا ذا أعمل في معمل كعامل بسيط كي أتكفف فيما عند الناس من مال حرام، وشكرا.

كانت هذه اللحظة الوحيدة في كل حياتي التي أكون بها صادقا وقويا غلى هذه الدرجة، كأنني خلقت من جديد، ما أجمل منطق

الصدق الدفئ وخصوصا أمام مخلوق أنت تكن له كل الحب والمشاعر الصادقة:

ـ هل أستطيع أن أخذ رقم هاتفك أستاذ !؟..

إنها تنعتني بالأستاذ، إنها تعرف ما معنى أن يكون الإنسان إنسانا، إنني في هذه اللحظة التاريخية أشعر بإنسانيتي، لحظة تكتب بماء الذهب:

ـ طبعا بكل تأكيد..

كتبت رقمي..

كتبت آخر ما تبقى لي..

يرن هاتفي في ذات اللحظة، ينخرط قلبي نحو الهاوية، يهبط بعمق، وأتدحرج خلفه، أشعر بجري نحو الغرابة، وأستمر في الوقوع:

ـ ألو..

صوتها الذي يعبر هذه الحروب، لعله صوت سلام كي تنتهي هذه العاصفة التي تجتث الأرواح وتنحر الجماجم، لم يبقى سواي هنا، فأنا العالق بصوتها الذي تمسك بحبلها الصوتي:

ـ ألو..

ـ مساء الخير..

ـ مساء الخير..

ـ أتحدث معك من واشنطن، أتحدث معك ودموعي تسيل، لم أتمالك نفسي عندما قرأت هذه الرسالة الصادقة، صدقني بأن هذه أول مرة أتحدث بها مع شخص صادق مثلك، ودعني أقول لك أستاذ لأنك تستحقها، وبالمناسبة أريد أن أعرض عليك عرضا، أتمنى ومن كل قلبي بأن لا ترد طلبي .. أرجوك.. !!

كنت أستمع لها وأنا أتلعثم بريقي ولعابي المتخثر:

ـ تفضلي..

نفسها الذي أوزعني أن أجثو على كل ألمي وأستمع إليه:

ـ أرسل لي صورة عن جواز سفرك، يلزمنا رجل صادق مثلك في شركتي وفي نفس الاختصاص الآن وفورا..

لم أتمالك نفسي أبدا:

ـ أنا لا أصدق، السبت القادم سوف تصدق عندما تكتمل أوراقك..

إذا ها أنا ذا، أحمل هما وألما في مطار رفيق الحريري في بيروت، بيروت قصتنا، بيروت غصتنا، بيروت وداعا، إنه هاتفي مرة أخرى:

ـ مرحبا هل أنت جاهز..

ـ نعم بكل تأكيد!..

ـ هذا بابا يريد التحدث معك..

ـ ألو مرحبا يا أبني..

ـ مرحبا يا عم..

ـ في الحقيقة يقول المثل، شوف لبنتك رجل قبل ما تزوج أبنك، هل تقبل بأن تكون أبنتي زوجة لك..

هنا بالضبط لن أستطيع أن أكمل، في الحقيقة أنا أكتب وأبكي، أنا أسير مع النجاة حيث الحياة والأمل، وما أجمله من أمل بعد زواج دام سنة كاملة..

ها أنا إذا:

جميعنا ننتظر أن تخرج من قسم الولادة في مستشفى واشنطن الكبير:

ـ تهانيا لقد رزقتم بطفلة جميلة جدا..

إنها أمل .. هكذا سميتها .. أمل..

ما أجمله من أمل..

شكرا أيها القديس مارك..

شكرا فيسبوك..

أتممت رواية:

بيني وبينك فضاء أزرق

في بلد الحرية والديمقراطية : النمسا، في عاصمة البيانو والكمنجة : فيينا،

في مقهى في المكتبة الوطنية مع غروب الأمل

الساعة : 00 : 06،بعد أن عرفنا الحب..

من تاريخ : 15 / يناير / 2019.